
أنيس منصور
تولد
النجوم
وتموت
نهضة مصر

أنيس منصور

تولد النجوم وتموت

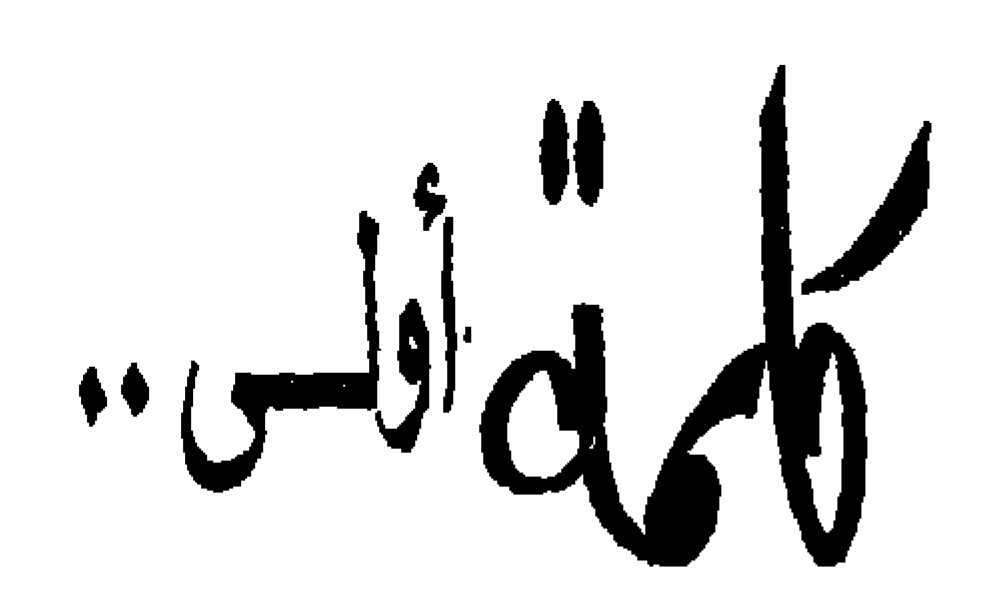
مقالات



عنوان الكتاب: تولد النجوم وتموت
اسم المؤلف: أنيس منصور .
تاريخ النشر: مارس ١٩٩٧

رقم الإيداع: ١٣٠٩٤ /١٩٩٦ .
الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 0507 - 9

رسوم: الفنان صلاح طاهر
الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ /٠٢
ص.ب: ٩٦ الفجالة
ادارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ /٠٢
ص.ب: ٢٠ امبابة



كلمة أولى..

الله خلق الكون من الاتساع بحيث لو انطلق أى كوكب فى اتجاه فإنه لن يصطدم بأى جسم آخر . . تماما كما نقول لو سارت نملة فى مدينة سيدنى بأستراليا ، فإنها لن تصطدم بأية نملة فى مدينة القاهرة ، مهما كانت سرعتها ، ومهما كان اتجاهها ، ومهما طال عمرها ، سبحان الله!

ولكن تصطدم بالكواكب وبالنجوم كتل من الجليد الضالة بين النجوم كأن يكون مذنبا أو شهابا أو تكوينات من الغازات والتراب والجليد . . وتوجد على سطح أرضنا تجاويف وأخاديد تدل على أن أجساما ضالة قد دخلت فى مجال الأرض وفى جاذبيتها فوقعت عليها فارتفع الماء والتراب والجليد وطاشت أمواج البحار ، وغبار الأرض ، وقامت الأعاصير فأطاحت بالنبات والحيوان ، ثم سكن كل شىء بعد ذلك . . حدث ذلك مرات كثيرة على كوكبنا فى عشرات ملايين السنين الماضية وعلى سطح القمر أيضا .

ويلاحظ علماء الفلك أن هناك جسما صغيرا له مدار يقترب من مدار الأرض . . وهذا الجسم الصغير سوف يقترب جدا من الأرض سنة ٢١٢٦ يوم ١٥ أغسطس فى الساعة الثامنة مساء بتوقيت القاهرة!

ولذلك فالعلماء يدرسون بمنتهى الدقة والسرية مسار هذا الجسم الصغير ، فمن الجائز أن يصطدم بالأرض . . فيدخل جو الأرض وقد لا يتحطم إلا على سطحها . فإذا حدث فسوف يخلق تجويفا ضخما وعميقا ، وسوف يصاحب دخوله الأرض ارتفاع درجة الحرارة وسوف ترتفع أمواج البحر إلى نصف كيلومتر . . وسوف تغرق مساحات كبيرة من الأرض . . وسوف تشتعل الحرائق فى الغابات ، وسوف تتحول الغابات إلى أرض جافة محروقة ، ويموت ما لا نهاية له من الحيوانات والطيور وسوف تتكهرب الأرض وتتعطل كل وسائل المواصلات ، وقد يحترق أو يختنق مئات الملايين من الناس!

وقد حدث ذلك منذ حوالى ٦٥ مليون سنة ، وقد أدى اصطدام أحد المذنبات بالأرض إلى اختفاء الديناصور من سطح الأرض . وماتت حيوانات وطيور كثيرة بسبب الحرائق والجفاف فى الأنهار والغابات وبسبب طغيان مياه المحيطات على شواطئ القارات ، كما حدث فى شرقى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية .

وقد اكتشف أحد العلماء الأمريكان أن حادثا مشابها قد وقع منذ ٣٥ مليون سنة ، فارتفعت مياه المحيط الأطلسى إلى أكثر من ٣٠٠ متر ، وحدثت «فوالق» فى الأرض وزلازل وبراكين ، فقد أدى اقتراب المذنب أو النيزك السريع من الأرض إلى ارتباك فى القشرة الأرضية . . وإلى خلخلة وزلزلة . .

ولكن العقول الإلكترونية قد قدمت أخيرا للعلماء أخبارا تبعث على الطمأنينة . فبعد أن كان الاحتمال فى الاصطدام بالأرض

واحدا فى العشرة آلاف ، فقد عادت العقول الإلكترونية تصحح هذه المعلومة وتقول : بل هو واحد فى العشرة ملايين .

وقد تقدم العلماء الأمريكان باقتراح هو ضرب هذا الجسم بالقنابل الذرية وهو يقترب من الأرض . . أى نسفه من بعيد . . وفى هذه الحالة سوف يتحول إلى ذرات . . ذرات مشعة تقتل كل سكان الأرض!

وكذا نكون نحن الذين ساعدنا على فناء الأرض . . إلا إذا اهتدينا إلى حل آخر . . والبقاء لله وحده!

أنيس منصور

عاشوا وماتوا

.. كيف ؟

فى هذه السنة ١٩٦٣ يمكن الاحتفال بذكرى عدد كبير من النابهين : مرور خمسة قرون على ميلاد أديب فرنسا الساخر العظيم رابليه .

وظهور مسرحية شكسبير « روميو وجولييت» .

ووفاة الفنان الإيطالى تنورتو .

ووفاة الموسيقارين الإيطاليين : دى لاسو ودابلا سترينا .

ومرور ثلاثة قرون على ميلاد الفيلسوف الساخر الفرنسى فولتير .

ومرور مائتى سنة على إعدام الأديب الفرنسى أندريه شينيه .

ووفاة الفيلسوف الفرنسى كوندريسة .

والاحتفال بمرور مائة عام على أول سباق للسيارات فى العالم بين مدينتى باريس وروان الفرنسيتين .

وعلى هزيمة القوات اليابانية للجيوش الصينية عند بورث آرثر .

وإقامة أول مصنع للفونوغراف للأخوين بانيه .

واغتيال رئيس جمهورية فرنسا سادى-كاونو . . اغتاله خباز إيطالى وهو يهتف : تحيا الفوضوية .

وميلاد الزعيم السياسى البريطانى هارولد ماكميلان .

ووفاة الموسيقار الروسى أنطون روبنشتين .

واستخدام الألمان للأسطوانات المسطحة بدلا من الأسطوانات القائمة فى الفونوغراف .

وتشكيل لجنة دى كوبرتان لتنظيم الألعاب الأوليمبية .

ومرور خمسين عاما على وفاة الأديب الفرنسى رومان رولان .

ووفاة الأديب الفرنسى سانت اكزبرى .

ووفاة الأديب والمفكر العظيم الدوس هكسلى فقد ولد منذ مائة سنة . . وكانت وفاته يوم اغتيال الرئيس الأمريكى كيندى . . وذلك لم يدر أحد بهذه الوفاة إلا بعد شهور . . فقد انشغلت الدنيا كلها باغتيال الرئيس كيندى .

شىء من مثل ذلك حدث فى مصر . . فيوم إطلاق الرصاص على الزعيم سعد زغلول توفى الأديب الرومانسى مصطفى لطفى المنفلوطى . . فلم يمش فى جنازته سوى خمسة أشخاص .

ويوم مات طه حسين ١٩٧٥ توفى العالم الجغرافى د . حسن عثمان الذى ترجم «الملهاة» للشاعر الإيطالى دانتى . . وكان عملا أدبيا شاقا جدا يدل على مدى عشق حسن عثمان للشعر والأدب ومدى إخلاصه فى ذلك . . فلم يدر أحد بوفاة حسن عثمان . . ويوم توفى الصحفى الكبير والشاعر البديع كامل الشناوى ١٩٦٥ توفى صحفى آخر هو أحمد الألفى عطيه . . ولكن مصر كلها سارت وراء نعش كامل الشناوى .

وكان الأديب هكسلى من أروع المفكرين المثاليين . . وله تجارب أيضا فى كشف أعماق النفس الإنسانية . . والبحث عن مصدر

الخرافات التى تحكمت فى فكر الإنسانية مئات السنين . . فوجد أن أفكارا كثيرة سيطرت على عقل الإنسان . . فالإنسان هو صانع خرافاته وأول من يضحى فى سبيلها .

وقد أصيب هكسلى بضعف فى عينيه . . ثم فقد القدرة على الإبصار نهائيا . . ولذلك لجأ إلى أساليب أخرى للبحث عن الحقيقة . . واستخدم التجارب المعملية . . واعتمد على الآخرين فى مشاهدة ذلك . . وخصوصا على زوجته .

وضاع الرجل وكل ما قدم للفكر والعلم فى زحمة انشغال الدنيا كلها بمقتل كيندى الذى كانت له عشيقات كثيرات تتقدمهن مارلين مونرو التى اغتالتها المخابرات الأمريكية وهى التى اغتالت الرئيس كيندى أيضا .

وعندما نظر أمير الشعراء أحمد شوقى إلى الأديب المنفلوطى الذى لم يدر به أحد يوم انزعجت مصر بالرصاص الذى انطلق على زعيم الأمة سعد زغلول قال :

اخترت يـــوم الهـــول يوم وداع

ونعاك فى عصف الرياح الناعى

من مات فى فزع القيامة لم يجد

قدما تشيع أو حفـاوة ساعـى

وهكذا مات المنفلوطى ، وكذلك الدوس هكسلى!

عمر الشريف ..

رأيت الفنان الكبير عمر الشريف فى ألمانيا نجما لمعرض النساجين الشرقيين ، ونجما لهم . . فقد حولوا أفلامه إلى سجاجيد جميلة ملونة . . وصنعوا له صورة أيضا . . ووقف عمر الشريف بين لوحاته . . والناس رجالا ونساء يتفرجون على النجم العالمى . . ويقتربون وينظرون ويتفرجون ويصافحونه . . ويبحثون عن جمال عينيه وابتسامته وشعره الأبيض الذى يتوج رأسه . .

وسمعته يتحدث . . إنه فى غاية الفصاحة واللباقة بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية . . أما لهجته العربية فتبدو أجنبية . وإن كان يضايقه هذا ، ولكنها الحقيقة . .

وعمر الشريف من أشهر لاعبى البريدج فى العالم . وقد فاز عدة مرات فى مباريات دولية ، وهو أيضا مغامر بطبعه وعنده خيول تجرى فى السباقات الدولية . . فهو يعيش ويتصرف فى حياته كأنه أحد اللوردات الكبار ، وليس غنيا جدا . كان غنيا ولكنه فى إحدى المرات خسر فى ليلة واحدة نصف مليون استرلينى -أى ما يعادل ثلاثة ملايين جنيه مصرى! وهو الآن -مع الأسف- يقامر بصحته . وقد قرأت حديثا أجرته معه ابنة أخت الكاتب الروسى الكبير باسترناك . . وهى وأمها غاضبتان على الفيلم الذى مثله

عمر الشريف من تأليف باسترناك فيلم (د . جيفاجو) واشتركت في البطولة معه الممثلة البريطانية الجميلة جولى كرستى . . وغضبت أسرة باسترناك على الفيلم لأن المخرج قد اهتم بعمر الشريف ولم يهتم بالمؤلف الكبير الذى فاز بجائزة نوبل وأرغمته حكومته على الاعتذار من قبولها . فاعتذر . . وكانت رواية جيفاجو تهاجم النظام الشيوعى والطغيان وتجريد الإنسان من إرادته وإنسانيته!

وقال فى حديثه مع بنت أخت باسترناك أنه ليس مغامرا بطبعه . . ولكن الذى يعجبه : الحماس والرغبة فى المكسب والانتصار . . وقد لاحظت بنت أخت باسترناك أن عمر الشريف بسيط . . كل شىء فيه يدل على أنه رجل أعزب . . فكؤوس الفوز فى البريدج كثيرة ، وكذلك كؤوس أخرى من كل لون ونوع . . وهو قد اعتاد العزلة ويريد أن يظل كذلك . ولا يريد أن يتزوج ، ثم إن السن قد تقدمت به نحو الواحد والستين . . كما أن عملية فى القلب أجريت له فى نفس الوقت الذى أجريت لزوجته السابقة فاتن حمامة سيدة الشاشة العربية . . ومن أهم أعمال عمر الشريف فيلم (د . جيفاجو) وفيلم (لورانس العرب) وأفلام أخرى كثيرة متوسطة القيمة . . وأحسن أفلامه فى مصر فيلم (الأراجوز) . . ويعترف عمر الشريف بأنه ظهر فى أفلام كثيرة متوسطة القيمة لأنه يريد فلوسا يعيش بها . .

وليست حالته المادية سيئة لدرجة أن يقترض أو يمد يده . . ولم يخف عن بنت أخت باسترناك أنه لو حدث أن أصبحت سوقه

الفنية بائرة تماما ، فسوف يعيش على ماضيه . . ولكنه لن يكون حزينا ولا يائسا . . فلا تزال فى الدنيا أشياء كثيرة يمكن أن ينعم بها ، وسوف يجىء اليوم الذى لا يقدر فيه على العمل أو على الظهور ، فهذه طبيعة الأشياء! وتصفه الصحفية ان باسترناك بأنه لايزال عنده بعض صفاته الماضية . . فعيناه مثل الشيكولاتة السائلة الدافئة . . وصوته هامس . . وهو قادر على أن يغزو بعض القلوب . . وقبل ذلك لم يكن فى حاجة إلى أن يغزو قلباً؟ . . فقد كانت القلوب تتكسر إذا رأته على الشاشة . . وكانت فرصة له أن يختار ما يعجبه . .

ويقول عمر الشريف إن له صداقات ، وأنه ليس وحيدا .

فقط أن تعمل ..

أحب أن أجلس طويلا وكثيرا إلى الشباب . فقد كنت شابا وأعرف هذه الوجوه . وأعرف هذه اللهفة . هذه السرعة . هذا الضيق . هذا التطلع إلى المستقبل . وأعرف أيضا كيف كنت لا أصدق الذين هم أكبر سنا ، ولا أزال أتذكر كيف كانت أمى تقول وهى لا تقرأ ولا تكتب : أنت لا يعجبك كلامى . اسأل خالك . .

وكان خالى فى مثل سنى . ولا أعرف ما الذى كان يقوله ، ولكن أعرف ما الذى كنت أقوله لأمى ، وتقوله لى ، ولا نتفق . وكنت أصدق ما يقوله أبى ، ولم يكن أبى ينصحنى وإنما كان يلقى أمامى بالكتب ويشير إلى بعض الصفحات . . وكنت أحفظ الشعر الجميل والنثر الأنيق . فلم يكن لديه وقت للنقاش أو للنصيحة ، وكنت أحب والدى لأنه لا يقول شيئا غير الذى أقوله . فقد كان يوافقنى على رأيى ، وخسرت بغيابه كثيرا من الحكمة والسداد .

وأعرف عندما يقول الشباب : ولكنهم لا يفهموننا ولا يحاولون!

فهو يقصد والديه والمدرسين والأساتذة أو عندما يقول لى : ومن أين أجىء بالشقة والثلاجة والسيارة؟

فهو يقصد «العروس» التى يحبها وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يتقدم لها ، وإنما يسعى إلى ذلك أحد الحرفيين الذين يكسبون بالألوف بينما هو لايزال يتعثر فى العشرات .

وأعرف بالضبط ما معنى أن يقول : إنهم يدفعون مرتبات شهرية أضعاف ما يتقاضاه فى مصر ولكنه مرتبط بالأرض والمجتمع المصرى .

وهو يقصد أنه لا يستطيع أن يسافر إلى الخارج ويترك والديه وأخوته الصغار ، فمن الواجب أن يحمل هذه الأمانة مهما كلفه ذلك .

وأعرف بالضبط الهدف وراء مثل هذه العبارة ، وكيف أضمن أن صوتى فى الانتخابات سوف يذهب إلى الشخص الذى أريده .

وهو لا يشك فى الانتخابات وإنما فى كل الناس وفى كل شىء ، فسوء الظن وعدم الثقة بالنفس وبالغير من أهم معالم الشباب فى كل عصر!

لست حرًّا!

القاعدة النكتة تقول : من لم يعلمه أبواه علمته الأيام والليالى . . ولم نكن نعرف أن الأيام والليالى هى الأبناء .

يكفى أن يذهب طفل فى أوروبا وأمريكا إلى قسم البوليس ويقول : ضربنى . ويقف رجل البوليس : من الذى فعل ذلك؟

ويقول الطفل : أبى!

وينهض رجل الشرطة ويستدعى الأب الذى ضرب ابنه . ويجىء الأب ويقول : ابنى وأنا حر فى تربيته! ويقول رجل الشرطة الذى هو حارس القانون : ابنك هذا صح . ولكنك لست حرا فى تربيته . . خصوصا إذا كنت تستخدم يدك فى تعليم الطفل فهذا ليس حقك . والقانون يقف كله ضدك .

– يعنى إيه؟

يعنى لابد أن تتعهد هنا كتابة أنك لن تعود إلى ضربه ، ثم إنك لم تكتف بضربه بل أنت شتمته أمام زملائه الصغار . . وهذه إهانة بالغة وفضيحة تعوق مسيرة الطفل ونموه الأخلاقى والاجتماعى!

– يعنى إيه؟

- يعنى أنت أخطأت فى حق طفلك وأسأت إلى حقوق الإنسان!!

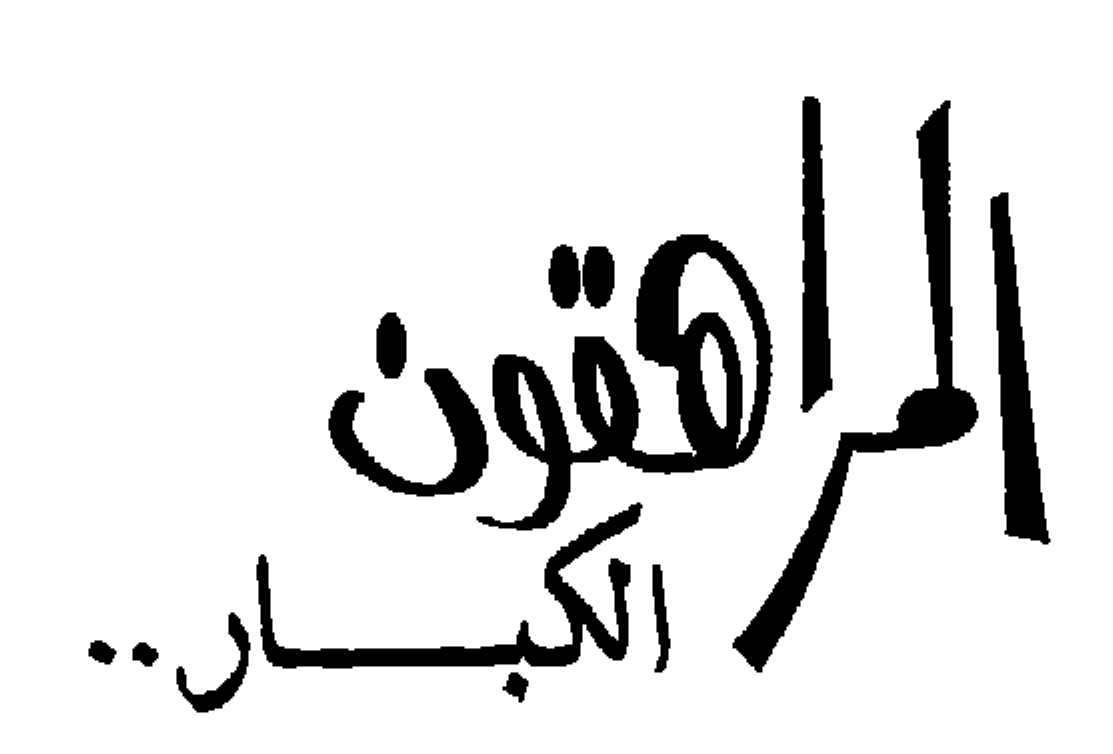
وإذا ذهبت الزوجة إلى رجل الشرطة وقالت له : طلقنى من زوجى!

- لماذا؟

- لقد ضربنى وأهاننى وأصبحت حياتى مستحيلة! ويتم الطلاق بسرعة . فالقانون يحمى كل مواطن من أن يقع عليه ظلم أو إهانة!

وقد سمعت قصصا مضحكة فى أستراليا من المصريين المهاجرين . . حتى قيل لى : إن أول شىء تفعله المرأة المصرية أن تطلب الطلاق من زوجها وتحصل عليه فورا . . لأنه قد شتمها وأهانها أمام صديقاتها وأمام أولادها! وإذا كان الأبوان دائمى الشجار ، وذهب الأطفال إلى البوليس يطلبون إنقاذهم من التوتر المستمر فى البيت ، فى هذه الحال يتدخل القانون لحماية الأبناء . . فلابد أن يتعهد الأبوان بألا تكون الخناقات أمام الأطفال . . أما إذا أصر الأبوان ، فإن الدولة تنقذ الأطفال من هذه الأسرة وتضعهم فى إحدى المدارس الداخلية وعلى نفقة الأبوين أيضا! أما إذا كان الطفل صغيرا وقد تبنته أسرة أخرى وكبر الطفل وحاول الأب والأم استرداده فالأمر يكون من أوله لآخره للطفل . . أى العائلتين يختار . ويقف القانون وراء حرية الاختيار! ووقعت حوادث كثيرة من هذا النوع فى أوروبا وأمريكا . . أما القصة الجديدة فى البرلمان البريطانى فهى : ماهو مصير الأميرين الصغيرين ابنى تشارلز

وديانا؟ فالأبوان منفصلان ، والصحف تفضح الجميع . . وقد يكون الطفلان بعيدين تماما عن الذى تنشره الصحف والكتب والتليفزيون عن العلاقة الفاضحة والمفقودة بين الأبوين . . ولأن أحد الطفلين من الممكن أن يكون وليا للعهد أو حتى ملكا لبريطانيا ، فيجب أن يلقى تربية ملكية سوية ، ولذلك يطالب مجلس العموم البريطانى بضرورة التدخل لإنقاذ الأميرين . . ولا يزال الموضوع مطروحا . . ولا تزال المناقشات شديدة . . ويرى البرلمان البريطانى أن يسأل الطفلان عن قرارهما فى الحياة مع الأب أو مع الأم . . أم مساءلة الأب والأم عن موقفهما من تربية هذين الطفلين ، ولكن الرأى يجب أن يكون للطفلين اللذين يعيشان فى أسرة ممزقة . فحياتهما ليست سوية . . وفى ذلك خطورة على العرش البريطانى . . ومن حق الشعب البريطانى أن يتدخل فى تربية من سوف يكون جالسا على عرشه . . ولا تزال المناقشات ساخنة!



المراهقون الكبار..

ماذا جرى للمراهقين الكبار : رؤساء الدول ورؤساء الوزراء والوزراء؟

الرئيس بوش كانت له صديقة هربوها إلى أمريكا الجنوبية أثناء انتخابات الرئاسة . .

الرئيس كلينتون كانت له صديقة مطربة . . ومنذ أيام اكتشفوا له صديقة جميلة . . ولكن زوجته فى غاية القوة والصلابة . . وتقول الصحف الأمريكية : وكانت لها هى الأخرى علاقات .

وفى أمريكا نكتة تقول : إن الرئيس كلينتون وزوجته ركبا سيارة ثم دخلا إحدى محطات البنزين . واقترب منهما أحد عمال المحطة يضع بنزينا فى السيارة . فلمحه الرئيس كلينتون وسأل زوجته : طبعا تعرفين من هذا؟ قالت : نعم إنه خطيبى السابق . . وقال الرئيس كلينتون : تصورى لو كنت تزوجت هذا الشخص؟

فتضايقت زوجة الرئيس وقالت : ولا حاجة كنت سأجعله رئيسا للجمهورية!

ورئيس الأرجنتين كارلوس منعم هربت زوجته من القصر بسبب البنات اللاتى يأتى بهن الرئيس .

ورئيس وزراء بريطانيا قالوا : كانت له علاقة بمديرة البيت .

وسقط أربعة وزراء فى بريطانيا والسبب فتيات وأطفال غير شرعيين . . وحكايات عن ولى عهد بريطانيا وزوجته وأخيه وأبيه وأمه أيضا .

وأخيرا قيل لولى عهد بريطانيا بصريح العبارة إما الحكم أو كاميلا . .

وكاميلا صديقة قديمة ، وأصدر قرارا بقطع صلته بها . . أى أنه اختار الحكم .

وكانت للأميرة ديانا غراميات . . وقالوا إن حارسها الخاص كان واحدا من هؤلاء وقد اغتالته المخابرات البريطانية . . كما اغتيلت مارلين مونرو . . والرئيس كيندى أيضا!

وأخيرا جدا انفجرت الصحف النمساوية بقصص من غراميات رئيس الجمهورية توماس كلستل المتزوج من ٣٧ عاما والذى يحب سكرتيرة له ولوزير الخارجية هي مارجوت لفلر (٣٩ سنة) يعنى عندما تزوج كانت هذه السكرتيرة فى الثانية من عمرها!

وتركت زوجته البيت ولم تعد تظهر فى الحفلات العامة ، ونشرت حديثا قالت فيه : إنها لا تظهر لا كسلا ولكن قرفا . . وانتظارا لحل حاسم فى هذه المشكلة التى تراها إهانة لها ولكرامتها .

أما الآنسة مارجوت هذه فقد عملت فى السفارة النمساوية فى موسكو وفى بانكوك . وعملت سكرتيرة لوزير الخارجية . . وهى الآن صديقة لرئيس الجمهورية .

ومن المنتظر إبعادها عن طريق الرئيس إلى أى عمل آخر فى النمسا أو خارجها . .

أما الرئيس النمساوى فقد أُختير رئيسا لبلاده فى العام الماضى ، وفى العام القادم سوف تجرى الانتخابات العامة ولابد من اتخاذ قرار حاسم حتى لا تكون الفضيحة موضوعا ساخنا فى الانتخابات قد تؤدى إلى سقوط الحزب الذى أتى به إلى الحكم .

وحتى لا يكون وصول الرئيس النمساوى إلى السلطة قائما على خديعة للشعب النمساوى . فقد اختاروه لأنه رجل أسرة ورجل على خلق . وقد ساعدته زوجته كثيرا ، أما الآن فإنه إذا لم يتخذ قرارا قاطعا فإنه يكون قد كذب على الشعب واستغل زوجته وأساء إليها إساءة بالغة!

وسئلت الزوجة إن كانت ترى فى إبعاد هذه الصديقة حلا . فأجابت : ليس هذا هو الحل الوحيد! أما الرئيس النمساوى فقال : ماذا جرى . . إننى بشر . . ككل الناس لى نقاط ضعف . ومن نقاط ضعفى أننى أحببت . . فلماذا يريد منى الشعب أن أكون تمثالا من البلاستيك بلا دم أو حياة أو ضعف . . ثم إن هذه مشاكل عائلية خاصة!

وليس هذا جديدا . . فهناك الملايين يفعلون ذلك ، ولكنهم ليسوا من المشاهير الذين يتحركون أمام الكاميرات والميكروفونات . . فكل ما يقولون وما يفعلون له طعم الفضيحة!

ألف ليلة وليلة

ظهرت ترجمة إنجليزية جديدة لقصص «ألف ليلة وليلة» . الترجمة بقلم روبرت اردين . العبارة حلوة ، وسهلة وقد حذفت منها الركاكة والتكرار . . ولكن احتفظ لها بفخامتها التاريخية لكل جوها السحرى المشحون بالعطور والبخور والأهوال والعفاريت .

ألف ليلة ليس معروفا من الذى كتبها أو من الذين كتبوها . ونقلوا بعضها من الهند ومن بلاد الفرس .

وقد ترجمها قبل ذلك إلى الإنجليزية إدوارد لين .

وبعد ذلك أعاد ترجمتها المستشرق الإنجليزى سيرويتشر ديرتون ونشرها فى عشرة مجلدات سنة ١٨٨٥ .

وأول من اكتشف «ألف ليلة . . » هو المستشرق الفرنسى أنطوان جالان فى القرن الثامن عشر . وترجمها ونشرها فى ١٢ مجلدا ، وأدى صدورها إلى كهربة الخيال الأدبى والفنى والعلمى فى أوروبا منذ ذلك الوقت . . وظهرت عنها مسرحيات وأوبريتات وباليهات ، وكلها تستمد خيالها وروعتها من سحر الشرق القديم . . وأحلام الأدباء والشعراء وهم يطيرون وراء سندباد وعلاء الدين وعلى بابا والطيور الضخمة والحيوانات الهائلة . . وكل شىء فى ألف ليلة يتحول بعضه إلى بعض . . فليس أسهل من أن يتحول الإنسان حيوانا والحيوان حوتا . . والحوت نسرا .

وبعض المخطوطات التى ظهرت فى مصر تؤكد أن «ألف ليلة» قد وجدناها فى مصر فى القرن التاسع الميلادى . . وكانت بطلتها والمتحدثة المطلقة فيها هى شهرزاد .

وقد استلهمها كل الشعراء الرومانسيين فى أوروبا ، وكانت «ألف ليلة» هى المرشد والدليل إلى عالم العجائب والغرائب فى الشرق العربى والفارسى والهندى . . وليس بين كل أدباء وشعراء القرنين الماضيين واحد لم يسبح فى خيال شهرزاد ، وأذكر أن الأديب الإنجليزى سومرست موم «١٨٧٤ - ١٩٦٥» جاء إلى القاهرة قبل وفاته بشهور . وقابلته وسألته إن كان قد قرأ لأحد من أدباء مصر أو العرب . فقال : إنه لم يقرأ . . وبمنتهى حسن النية سألته : إن كان قد قرأ لتوفيق الحكيم الذى ترجمت أعماله إلى لغات كثيرة . فقال : ولم أسمع بهذا الاسم ولا بطه حسين ولا العقاد . .

وفوجئت بالأستاذ العقاد يهاجمنى ويقول : إن الذى لا يرى الشمس أعمى . . وليس العيب فى الشمس ولكن العيب فيه هو . . أى العيب فى سومرست موم الذى لم ير شمس العقاد!

وسألت الأديب السويسرى ديرنمات وقد ترجمت له أنا سبع مسرحيات ظهرت على المسرح وعلى الشاشة إن كان قد قرأ لأحد من الأدباء العرب . قال : إنه لم يقرأ إلا ألف ليلة .

وفى العام الماضى صدر كتاب بعنوان «رحلة فلان الفلان البحار» للكاتب الأمريكى جون باريت . . هذا الكتاب ، ترجمة جديدة لبعض قصص «ألف ليلة» . وقال الكاتب : إن «ألف ليلة وليلة» لاتزال شابة جميلة فتية شقية . وإنه ليس صحيحا أنها قد بلغت من العمر ألف سنة وزيادة . . ولا تزال «شهرزاد» هى أصغر فتاة فى التاريخ وأعظم حاكية وأطيب ساحرة!

الشيوعيون .. لماذا ؟!

تفوق الشيوعيون فى كل الألعاب الرياضية . ألمانيا الشرقية ورومانيا وروسيا والصين . . وكان ذلك واضحا فى المهارات الفردية فى الدورات الأوليمبية .

وتساءل الناس : وما علاقة الشيوعية بالتفوق فى الرياضة؟

هل يمكن أن يقال : إن الشيوعيين يتفوقون فى كل أنواع النشاط الذى لا يمكن رقابته . . كالموسيقى والرياضة . . أى كل ما ليس له علاقة بالكلمة التى يمكن ضبطها وربطها ومحاسبة الناس عليها . تماما كما تفوقوا فى الشطرنج .

أو هل لأن الدول الشيوعية تقطع رقبة كل من يفشل أو ينهزم؟ تضعه فى السجن أو تخرب بيته؟ ولذلك فاللاعبون يتفوقون حتى لا يدخلوا السجون .

كان هذا هو الرأى السائد بين النقاد فى العالم ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفييتى واستولى الأمريكان على وثائق المخابرات الروسية والألمانية الشرقية اكتشفوا حقيقة ما حدث . فقد كان الشيوعيون يستخدمون عقاقير منشطة لا تظهر فى تحليل البول أو الدم . . واكتشفوا أيضا أن الشيوعيين قد ابتكروا أجهزة للصدمات الكهربية .

هذه الصدمات الكهربية تنشط اللاعبين إلى درجة الجنون والانتحار دون أن يظهر لها أى أثر فى التحاليل الطبية ، واهتدت المخابرات الغربية إلى ما هو أكثر من ذلك . . فقد عرفوا أن الدول الشيوعية قد ابتدعت بعض العقاقير الكيماوية التى لها أثر فى المخ . . وعن طريق هذه العقاقير يمكن تجريد الإنسان من إرادته ومن كل أفكاره ووضع أفكار جديدة . . فقد لاحظ الأمريكان فى حربهم مع فيتنام ومع كوريا الجنوبية أن الجنود الأمريكان قد تغيروا تماما . . واستسلموا نهائيا وانقلبوا ضد الحكومة الأمريكية دون أن يبدو عليهم أى أثر لأى عقار . وقام الأمريكان أنفسهم بإجراء تجارب على السجناء والمرضى واستطاعوا بهذه العقاقير أيضا أن يغيروا ملامح شخصية أى إنسان -تماما كالروس والألمان الشرقيين والكوريين الشماليين .

ويحاول الأمريكان والأوروبيون أن يعثروا فى الوثائق والسجلات على الرياضين الشيوعيين الذين تفوقوا فى اللعبات الدولية وأن يسألوهم ماذا حدث لهم . . ولكن الروس والألمان قد أخفوا ذلك تماما . فليس لدى أى أحد معلومات عن الصدمات التى تعرض لها كبار اللاعبين . . كما أن هذه الصدمات لم تترك أثرا ظاهرا فى الجسم أو فى العضلات أو الأعصاب .

وبعض اللاعبين قد أعلن أنه لا يعرف أى شيء عن هذه الصدمات . . ولا حتى العقاقير المنشطة التى كانوا يضعونها فى الطعام أو الشراب لهم .

ولايزال البحث جاريا . . وإن كان من المؤكد أن اللاعبين الروس والشيوعيين كانت لهم قدرات فائقة فى ألعابهم . . وهذه البراعة لا يمكن أن يكون سببها المنشطات لأن المنشطات تطيل النفس فقط ، ولكنها لا تضع البراعة والإبداع!

العودة للقمر

بعد اثنين وعشرين عاما قرر الأمريكان أن يعودوا للدوران حول القمر . . الغرض : رسم خريطة دقيقة جدا لسطح القمر . .

وقد أطلق الأمريكان منذ أيام قمرا اسمه (كلمنتين) أى البرتقالة الصغيرة ، وهو بالفعل صغير ولكنه ملىء بالأجهزة المتطورة والتى لم يعرف الفضاء نظيرا لها من قبل . ثم إن هذا القمر قد ارتفع بصواريخ كانت معدة لحرب النجوم . . وهذه الرحلة تعتبر قليلة التكاليف جدا . . لم تتكلف أكثر من ٧٥ مليون دولار . . بينما رحلة المرصد هابل قد تكلفت حوالى الألفى مليون دولار . . وإصلاح هذا المرصد قد تكلف حوالى ٥٠٠ مليون دولار . .

وسوف يدور هذا القمر الصغير لمدة ثلاثة شهور حول القمر . . وبعد ذلك يتخذ له مدارا حول القمر والأرض معا . .

وسوف يدور حول جسيم صغير فى مدار الأرض اسمه (جوجرافوس) وسوف يكون على ارتفاع ستين كيلومترا منه ، وهى أقصر مسافة اتخذتها سفينة فضاء من أى جسم فى الفضاء حولنا . . وسوف يطلق القذائف على سطح هذا الجسيم ليحلل التراب المتناثر ويعرف نوع التربة ونوع المعادن . وأمل العلماء هو وضع مرصد أو أجهزة رصد على هذا الجسم بدلا من استخدام

سفن فضاء تدور حول الأرض تكون معرضة للتلف بعد سنوات من إطلاقها . .

أما الهدف الأكبر فهو دراسة كوكب بلوتو . . وهو أصغر وأبعد وأبرد كوكب فى كل المجموعة الشمسية فهو يبعد عن الشمس حوالى ستة آلاف مليون كيلومتر . .

وقد اكتشفه العالم الأمريكى كلان وليامز يوم ١٨ فبراير سنة ١٩٣٠ واكتشف العلماء أن له رفيقا آخر اسمه شارون يوم ٢٢ يونيو ١٩٧٨ . .

أما قطر بلوتو فهو حوالى ٢٣٠٠ كيلومتر وقطر شارون حوالى ١١٨٠ كيلومترا . ويدور بلوتو حول الشمس فى جولة تستغرق ٢٤٨ عاما . .

وسوف يكون بلوتو أقرب إلى الشمس فيما بين ٢٣ يناير سنة ١٩٧٩ و٥ مارس سنة ١٩٩٩ . . وسوف يقوم كلمنتين برحلة إلى بلوتو سنة ١٩٩٩ .

أما الأسباب التى دعت مؤسسة الفضاء الأمريكية إلى استخدام أقمار صغيرة فهى بسبب الحملة التى شنها البرلمان على مؤسسة الفضاء واتهمها بأنها تبدد أموال دافعى الضرائب دون فائدة تعود عليهم . . وإنما هى فقط تحقق أحلام العلماء وطموحاتهم لا أكثر ولا أقل . . وخاصة أن هيئة الفضاء الأمريكية قد فشلت فشلا شنيعا عندما أطلقت سفينة (مراقب المريخ) واقتربت من المريخ . . ثم فقدت النطق . لا تصد ولا ترد . . وحاول العلماء أن يجعلوها تستجيب لأية إشارة أو ترد على أى تساؤل . لقد سكتت

السفينة إلى الأبد . . فأصدر لها العلماء آخر قرار لهم بأن تلقى بنفسها فى الفضاء الخارجى . . وضاع ألف مليون دولار على دافعى الضرائب!

ولذلك لجأ العلماء إلى استخدام الصواريخ التى كانت معدة لحرب النجوم -فلم تعد لها ضرورة بعد انهيار الاتحاد السوفييتى . . وبذلك انتهت الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا ، فالصواريخ موجودة جاهزة . . وسوف يستخدمها العلماء فى رحلاتهم القادمة حول القمر والكواكب الأخرى : المريخ وعطارد ثم بلوتو . .

ولايزال بلوتو هو المجهول الأول فى كل الكواكب التى تدور حول الشمس . . وهناك معلومات لم تتأكد بعد من أن العلماء لاحظوا أن موجات صوتية عالية التردد تنطلق من هذا الكوكب وبشكل منتظم . . فما المعنى؟ هل هناك كائنات عاقلة . . أو أعقل تتصل بكائنات أخرى . . أو تريد أن تتصل بنا . .

لا إجابة عن مثل هذه التساؤلات قبل نهاية هذا القرن وبداية القرن الذى يليه . انتظر!



تجدد البحث العلمى عن «سفينة نوح» التى قال القرآن الكريم إنها استقرت على جبل «الجودى» . . وقالت التوراة إنها استقرت على جبل «أرارات» . .

والمسافة بين الجبلين فى تركيا ٣٠ كيلو مترا فقط .

ومنذ أيام أعلنت الحكومة التركية إغلاق كل الطرق المؤدية إلى مكان السفينة التى تغطت الآن بالجليد .

ولكن أحد العلماء الأمريكان الذى أمضى من عمره عشرين عاما عاد من جديد للبحث مستخدما الآلات العلمية الدقيقة . . أما الذى ينفق على هذا المشروع عشرات الملايين فهى إحدى شبكات التليفزيون الأمريكى .

والتوراة قد حددت الطوفان وسفينة نوح بحوالى أربعة آلاف سنة ، وهذا رقم غير دقيق . ولابد أن يكون أضعاف ذلك . .

والتوراة قد حددت طول وعرض وعمق السفينة . . وعدد نوافذها وغرفها . . أما الباحث الأمريكى منديل جونز فقد صور موقع السفينة وبعث بكل ما سجل إلى جامعة اكسفورد لتحليله وكتابة تقرير عنه سوف تصدره فى العام القادم .

وقد ضاق نوح عليه السلام بقومه . . دعاهم فكذبوه وسخروا منه . . حتى ابنه لم يطاوعه . . يقول القرآن الكريم على لسان نوح : «رب لا تذر على الأرض من الكافــرين ديارا . . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا» .

وقال تعالى : «فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك» .

ويقول تعالى : «وهى تجرى بهم فى موج كالجبال . . ونادى نوح ابنه وكان فى معزل : يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال : سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء . قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم . . وحال بينهما الموج . فكان من المغرقين .

والقرآن الكريم يقول : وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء . . وقضى الأمر . واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين .

أما التجويف الذى عثر عليه علماء الآثار من عشرات السنين فلايزال له شكل السفينة التى طولها ٤٥٠ قدما وعرضها ٧٥ قدما . . وقد ذهب إلى هذه المنطقة كثيرون على أقدامهم . وهلكوا ، وآخرون صوروها من الطائرة . . ونزلوا عليها بالباراشوت . . ولكن لم يستطع أحد أن يقدم دليلا قاطعا . . فأدوات البحث لا تسعفهم . . أما الآن فلدى العلماء أجهزة دقيقة لقياس الأشعة وعمر الصخور وبقايا الأخشاب وبقايا الأعشاب أيضا .

وإذا صح ما رآه العلماء الآن فسوف يكون هذا الاكتشاف أخطر اكتشاف فى العصر الحديث . . لأن هذه السفينة سوف تحدد لنا

تاريخ الأنبياء والرسل السابقين على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمن فيهم السيد المسيح ـ عليه السلام ـ .

ولكن الأرقام التى ذكرتها التوراة غير دقيقة . . فلا أحد يعرف إن كان نوح قد عاش من أربعة آلاف سنة أو من أربعين ألفا . . وهل صحيح أن المسافة بين نوح وابننا الأكبر آدم لا تزيد على ألفى سنة . . بينما التاريخ الحديث يقول لنا : إن الإنسان استقام ظهره وعرف الكلام والكتابة من مليون سنة؟!

وكل الذى يقلق العلماء الآن هو أن الباحث الأمريكى جونز قد ساءت صحته جدا وأن هناك خوفا عليه أن يموت قبل أن يعلن علماء أكسفورد بالتفسير الدقيق لما عثر عليه فوق جبل أرارات . . حتى لو مات الباحث الأمريكى فلا أحد ينكر فضله وعذابه عشرين عاما حتى اهتدى إلى هذا اللغز الذى حير الباحثين ألوف السنين!

النيل يزحف ؟!

(١)

«وجعلنا من الماء كل شىء حى» صدق الله العظيم . . وحيث لا ماء لا حياة وحيث ينقص الماء تجف الأرض . ويموت النبات والحيوان والإنسان وقد رأينا ذلك فى مجاعات السودان والصومال وإثيوبيا وغيرها من الدول الاستوائية .

وإذا اقتربت الأرض من الشمس فإن الشمس سوف تجفف البحار فلا يكون بخار ولا يكون مطر وتكون قيامة كل الأحياء . . وإذا ابتعدت الأرض عن الشمس فإن الحياة تجمد وكذلك عروق كل الكائنات الحية والنباتات أيضا .

والماء مشكلة الآن ومشكلة فادحة أيضا ، فحاجة الناس من الماء تزيد . . ومياه الأنهار بسبب ارتفاع درجة حرارة الشمس تنقص والأرض تجوع والناس أيضا .

وفى مصر حيث النيل العظيم ، فإنه لم يعد عظيما ، نحن جعلناه يتمسح فى الأرض وفى الشواطىء . . ويصبح لونه أخضر بعد أن كان أحمر قانيا . . وهو يلقى بالطمى أمام السد وليس وراءه . . وإذا كانت مصر هبة النيل كما قال هيرودوت . . أى النيل هو الذى صنعها لنا وأهداها للشعب المصرى ، فإن النيل لما وجدنا

سفهاء فى استخدام الماء وقتل التربة بدأ بسحب هديته . . فهو ينحر الشواطىء . . والبحر من الشمال يزحف علينا يأكل الدلتا . . فقد كانت مياه النيل تصد البحر عنا وتضيف كل سنة شبرا من الطين إلى أرض مصر .

والماء يتناقص فى كل دول الشـرق الأوسط . . لبنان والأردن وإسرائيل وسوريا والعراق ومنبع مياه الدجلة والفرات من تركيا . . أما مياه الأنهار فى دول الشرق الأوسط فقليلة والمياه جفت والملوحة ارتفعت ولابد من الاعتماد على تحلية المياه .

والسعودية تعتمد على تحلية مياه البحر ، والكويت كانت تعتمد قبل حربها مع العراق على مياه شط العرب مقابل مبلغ من المال تدفعه للعراق . . ولكن الكويت تفضل الموت عطشا على أن تأخذ قطرة واحدة من العراق!

ولما نشرت الصحف المصرية والعالمية أن السادات سوف يبعث إلى إسرائيل بالماء انقلبت الدنيا . . وكان خيال السادات يقول : يجب أن يتوضأ الناس فى القدس بمياه النيل!

والله على ما أقول شهيد . . فقد طلب منى الرئيس السادات أن أنشر خبر إرسال الماء إلى القدس ليرى ماذا يكون رد الفعل . . وقال : إنها من الحيل التى تلجأ إليها أجهزة المعلومات أو قياس الرأى العام . . فهم ينشرون خبرا أى - خبر - ليعرفوا صداه ولكن السادات كان يعلم علم اليقين أن دول حوض النيل سوف تعترض ولكنه أراد أن يعرف وعرف ، كما اتصلت بى جئولا كوهين عضو الكنيست التى مزقت «معاهدة السلام مع إسرائيل» وقالت لى فى

التليفون : قل للرئيس السادات أننا لا نريد البلهارسيا والانكلستوما من مصر!!

واتصلت بالرئيس السادات عند منتصف الليل لأنقل له ما قالت جئولا فظل الرئيس يضحك ويقول : بعينها . . ولا قطرة ماء من مصر . . هاها . . هاها . .

وسوف تتركز كل مشاكل الشرق الأوسط مرة أخرى على قضية واحدة : الماء . . من أى مصدر وكيف يتم توزيعه بالعدل ، دون سحبه من باطن الأرض ومن تحت حدود دولة من الدول!

(٢)

ولما فتح العرب مصر انبهروا بنهر النيل والأرض الخضراء . . وفى كل الوقت كان المصريون يروون أرضهم رى الحياض . . وكانوا يطلقون الماء عليها فيغمرونها . . ولم تكن المياه قد تم ضبطها وربطها وتوزيعها وخزنها . . وكان المصريون يغرقون الأرض والقرى . . ولذلك قامت كثير من القرى والمدن الصغيرة فوق الأكوام والتلال . . ولذلك نجد أسماء البلاد تبدأ وتنتهى بكلمة : تل أو كوم . . ولا يزال الفلاح المصرى يروى الأرض بنفس الطريقة ، جهلا وكسلا . . فالفلاح قبل أن ينام يفتح الماء على الأرض . . مهما كانت صغيرة . وطول الليل تصب المياه فى المصارف ، وهى مياه زائدة على الحاجة . . فكأن الفلاح يسرف فى استخدام الماء مرتين : مرة بالرى بالغمر . . ومرة بترك الماء يتدفق فى المصارف . . وعرفنا تنظيم الرى بشق الترع وبناء الجسور والقناطر . . ثم بناء سد أسوان . . والسد العالى . . وحبس الماء وتصريفه فى وقت الحاجة إليه هذا ما فعلته الدولة . . ولكن الفلاح ظل على عاداته القديمة يروى الأرض بغمرها وإغراقها فى الماء . . ثم إنه يستخدم الطنبور الذى اخترعه الإغريق والشادوف والساقية . . وبعد ذلك استخدم الطلمبات ومضخات الرفع الكهربية .

وأخيرا جدا استخدمنا الرى بالرش وروينا أشجار الحدائق بالتنقيط . . أى ترشيد استخدام الماء . . ولايزال هذا الأسلوب العاقل محدودا جدا . .

ومن أهم أعياد مصر أيام الفاطميين عيد «وفاء النيل» أى عندما يرتفع مستوى النيل ليفى باحتياجات الناس . . ويجىء الوالى أو الخليفة ويهيل السد الترابى بفأس مصنوعة من الذهب . . ويفيض النيل من وراء الحاجز الترابى الرمزى . .

والمؤرخ المقريزى وصف حال النيل على مدار السنة فى مصر فقال : ثلاثة أشهر مصر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر هى مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء .

ويفسر ذلك بقوله : أما اللؤلؤة البيضاء فمصر فى شهور أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وروابيها على تلال أحيطت بالمياه من كل وجه فلا سبيل إلى قرية من قراها إلا بالزوارق . . وأما المسكة السوداء فإنها تبدو كذلك فى شهور بابة وهاتور وكيهك . . فيكشف الماء عن الأرض فتصير أرضا سوداء . . فتكون الأرض جاهزة للزراعة . . أما الزمردة الخضراء ففى أشهر طوبة وأمشير وبرمهات يكثر نبات الأرض وربيعها فتصير خضراء كأنها زمردة . . وأما السبيكة الحمراء ففى أشهر برمودة وبشنس وبؤونة يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة التى من الذهب منظرا ومنفعة ، وتطورت علوم الزراعة فأصبح يمكن زراعة المحاصيل فى غير أوقاتها باستخدام بحار الماء تحت الصوب . . وهناك تجارب على زراعات بغير تربة . . أى فى الماء وفوق طبقة رقيقة من المواد البديلة . . وهناك تجارب أيضا على زراعة النباتات فى المياه المالحة . . وهناك نباتات وكائنات تعيش على مياه البحر . . وعندنا فى شرم الشيخ أشجار «المانجروف» والتى نسميها أشجار الشورى . . وفى مصر تجارب على تدوير مياه المصارف بعد قياس درجة ملوحتها ، وإعادتها للرى ، وهذا ما سوف يحدث أيضا لترعة السلام التى تمتد من شرق الدلتا إلى سيناء ، وهو مشروع تموله السعودية والكويت . . ويهدف إلى رى ربع مليون فدان موجودة فى سيناء واستصلاح ما يقرب من المليون!

(٣)

هناك حديث نبوى شريف معناه : أن الإنسان يجب أن يقتصد فى استهلاك الماء ولو كان يتوضأ على شاطىء البحر . . أى أن الاقتصاد والترشيد واستخدام القليل ضرورة . . ومع ذلك نحن لا نتذكر هذا الحديث الشريف وإذا تذكرناه فلا نتأمل معناه وسوف تمتد ترعة السلام إلى سيناء تحت قناة السويس وسوف تكون هناك محطات لرفع وضخ الماء القادم من نيل مصر ومن مصارفها متجها إلى أرض فى سيناء .

ومن المؤكد أننا سوف نستخدم الماء بنفس الطرق البدائية التى نتبعها فى مصر وتتكرر نفس المشكلة مرة أخرى سوء استخدام وإسراف وضياع الماء فى التربة الرملية .

ولن ينقذنا من هذا الضياع أن نلجأ إلى مياه الآبار . . فمياه الآبار يجب أن تمتد أصابعنا إليها ألف متر تحت الأرض ، وهذا بالغ التكاليف . .

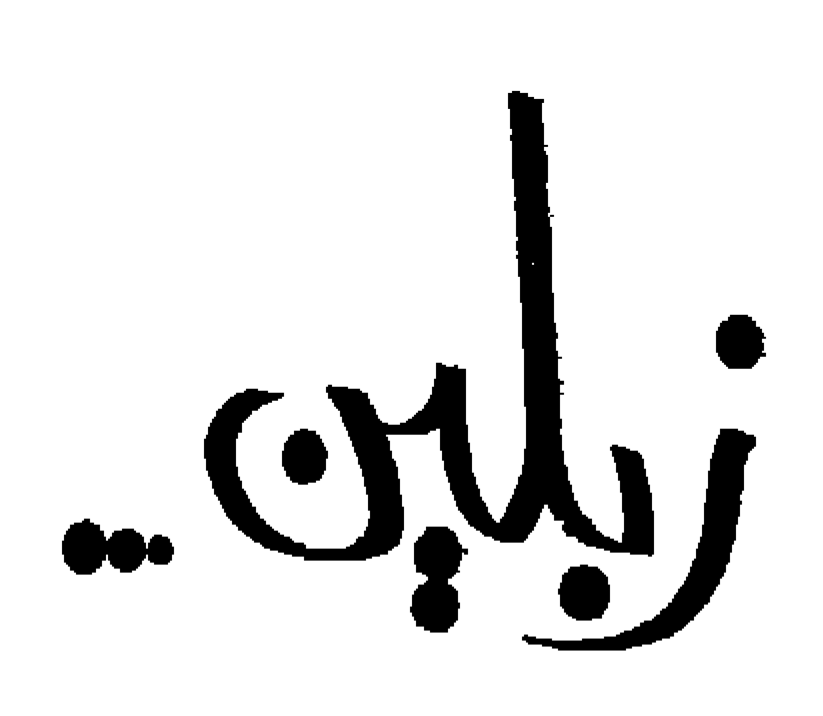
إذن هناك حلان ولهما ثالث أهم :

الحل الأول أن نقتصد فى استخدام المياه بالحساب . . بالرش أو التنقيط أو بالعلم ، الحل الثانى هو إقامة محطات تحلية المياه أكبر من المحطة التى فرغنا منها أخيرا وسوف تكون كل المشاريع الكبيرة من هذا النوع مشاريع مشتركة بين مصر والأردن وإسرائيل وأمريكا أو ألمانيا أو اليابان . . فلا زراعة لصحارى النقب وسيناء إلا بمياه البحر التى تجردت من الملوحة . . وسوق الشرق الأوسط قد انفتحت على الآخر . . شيكات وفلوس وتجار شطار وسماسرة . . مليارات من الدولارات جاهزة . . ولكن الذى سوف يدفع لنا يريد

أن يسترد ماله أو يكسب . . ونحن أيضا وكل الشركاء والمشاريع بلا وطن . إنها مصالح مشتركة .

ولابد أن تكون مشتركة لأن أحدا لا يستطيع وحده أن يبنى وأن يزرع وأن يروى ويجعل ماء البحر سائغا للشاربين والشاربات : بشرا ونباتات وحيوانات . . والوقت يجرى والزمن لا يرجع ونحن شعوب تمرست جدا جدا على إضاعة الوقت السياسى والاقتصادى والاجتماعى أيضا ، ولست فى حاجة إلى أن أرص لك قائمة الفضائح التاريخية . . فأنت تعرفها جيدا .

ولكن قبل كل ذلك يجب أن نمسك أيدينا فى مصر وهذا هو الحل الثالث لا نترك الحنفية مفتوحة . . لا نترك الحنفية من غير «جلدة» فجلدة الحنفية هذه تكلف مصر مئات الملايين من الجنيهات كل سنة ، فالحنفية التى تظل «تشر» ليلا ونهارا فى ملايين البيوت تلقى بالكثير جدا فى المجارى . . ونحن فى بيوتنا لانزال نستخدم الغمر فى الشرب والغسل . . أرجوك أن تشاهد «السايس» وهو يغسل السيارة . . كم مائة لتر ماء يستخدمها بلا مبرر . . مع أن خرطوم الماء يمكن استخدامه بالعقل . . أو يمكن استخدام السفنجة فى تنظيف كل السيارة ما عدا زجاجها الأماى والخلفى فالماء أنعم لأنه لا يخربش الزجاج ، فنحن فى المدن نستخدم الغمر أيضا لأننا مازلنا فلاحين بلبدة وجلباب أزرق ولا يغرك أننا نرتدى البدل ونستخدم كلمات أجنبية فى كلامنا العادى . . فنحن مازلنا فلاحين وإلى أن نتطور ونصبح متحضرين فمياه النيل وترعة السلام وألف ترعة أخرى لن تكفى للاستخدام الآدمى للفلاحين المصريين بجلباب أو ببدلة . . صدقنى!



في يوم ٦ مايو سنة ١٩٣٧ هبط بالون أو منطاد من طراز زبلين (تسبلين) في مطار نيويورك واحترق في أول رحلة له عبر الأطلنطي . . اسم هذا البالون هندنبرج . . أما بالون زبلين الأصلي فبعد ١٤٤ رحلة ناجحة إلى طوكيو ولوس أنجليس فقد توقف منذ تسع سنوات . . وكان احتراق هندنبرج صدمة كبرى لصناعة البالون في ألمانيا وبريطانيا وفرنسا . . ولكن هذه الصدمة هي توقف العلماء لحظات ليتأملوا ما حدث ولماذا . . وكيف يمكن إصلاح الأخطاء حتى ترتفع البالونات مرة أخرى إلى السماء ولكن بأشكال أخرى . . وقد استخدمت بعض الدول الأوروبية هذه البالونات في حراسة الشواطئ والحدود . . فالبالونات ترتفع في هدوء وبلا ضجة . وقد استخدمها البوليس والجيش والعلماء في مناسبات كثيرة ناجحة . صحيح أن الرياح تطوح بها بعيدا ، ولكن العلماء يبحثون كيف يمكن أن يتحقق لها الأمان باستخدام غازات أخرى غير قابلة للاحتراق السريع بدلا من غاز الهيدروجين . فاستخدموا غاز الهيليوم . . واستخدموا محركات دافعة لها تجعلها تنطلق بسرعة تتراوح ما بين ٧٠ ومائة كيلومتر في الساعة وعلى ارتفاع ٢٤٠ مترا .

وهذه البالونات المعدلة تستهلك فى الساعة ثمانية جالونات من الوقود . . أى بالضبط ما تحتاجه الطائرة منذ هبوطها إلى أرض المطار حتى وصولها إلى أتوبيسات الركاب .

ولايزال العلماء يستخدمون البالونات فى تصوير الغابات والحيوانات . . ومتابعتها فى الأرض والجو والماء . . فالبالونات تتوقف وتتحرك ببطء يجعل المصورين والباحثين يتابعون الحيوانات والغابات والنبات بدقة وبفن أكثر . .

كما أن العلماء قد غيروا الكيس الجلدى المصنوع من القماش الذى يحتوى على الغاز . . فجعلوه من البلاستيك المرن . أما الموتورات التى زودت بها المناطيد الآن فهى من صناعة شركة (بورشة) . وبذلك أصبحت المناظير أكثر ثباتا وفائدة من طائرات الهليوكوبتر ذات الدوى والضجيج والعوادم .

أما المخترع الألمانى الكونت فردناند فون زبلين (١٨٣٨ - ١٩١٧) فقد اشترك فى الحرب الأهلية فى أمريكا . وترقى فى الخدمة العسكرية حتى صار جنرالا . . وتقاعد ليحقق حلم حياته وهو اختراع المنطاد . . الذى أكمله تماما سنة ١٩٠٠ ، وقد تحمس الشعب الألمانى لهذا الاختراع العظيم وتبرع الشعب بما يساوى عشرين مليون جنيه لبناء معهد أو مصنع المناطيد . . واستخدمت ألمانيا المنطاد فى الحرب العالمية الأولى فى ضرب إنجلترا . . ثم قام المنطاد برحلات إلى أمريكا الجنوبية . . ولكن استخدام غاز الهيدروجين جعله غير آمن . . ولذلك وقعت له حوادث كثيرة جعلته غير مأمون تماما .

وفى نفس الوقت ظهرت الطائرات وقوتها الهائلة على الحركة وأخطارها الأقل . فتفوقت الطائرات وانتشرت . . ولكن العلماء الألمان والإنجليز والفرنسيين حاولوا أن يطوروا المنطاد ليكون أنجح وقد نجحوا فى ذلك . . وسوف يتخذ المنطاد الجديد مكانا عاليا آمنا هادئا فى السماء وبتكلفة أقل وقدرة على استيعاب عدد أكبر من المسافرين الذين يريدون أن يتمتعوا بالنظر إلى الأرض والغابات والجبال والطيور . . فهم ليسوا على سفر أو ليسوا فى عجلة . . وإنما السفر البطىء هو المتعة . . وسوف يؤدى انتشار البالون إلى إنتاجه بكثرة مما يجعل ثمنه أقل وتداوله أكثر .

ولذلك كتب زبلين -الألمان ينطقونها (تسبلين)- فى مذكراته أن العلماء لن يقفوا ساكتين أو يائسين أمام هذا الإنجاز العلمى ، وهذا ما حدث وما سوف يحدث وقد حدد تسبلين عناصر النجاح : أن يجد العلماء غازا آخر . . وأن يصنعوا الغاز فى أكياس تقاوم الضغط والحرارة . . وأن يجد العلماء مادة أخف وأمتن لجسم المنطاد نفسه . . وأن يوازنوا بين وزن المنطاد والوقود ووزن المسافرين والمقدرة على الصعود والتحكم فى حركاتها وبين وزن الحمولة التى لابد أن ينقلها من مكان إلى مكان .

ولم يخرج العلماء فى (تحديث) المنطاد عن هذه الشروط التى وضعها المخترع الألمانى ، فنحن -إذن- سوف ندخل عصر الطيران الهادئ . . الطيران المتعة والنزهة .

حياة في المريخ ..

الروس كانوا أسبق من الأمريكان فى صناعة الأقمار الصناعية ودورانها حول الأرض . . فهم أول من أطلق قمرا . . وأول من أطلق كلبا وبعد ذلك إنسانا . . وبعد ذلك امرأة . . وأول من أرسل سفننا إلى القمر ، سفنا بلا رواد . . والروس قد ضربوا جميع الأرقام القياسية فى البقاء فى الفضاء . . فرائد الفضاء الذى سافر مع طاقم أمريكى فى المكوك «دسكفرى» منذ أسابيع قد دار حول الأرض ٤٦٣ يوما .

وكل مبادئ وقوانين علوم الفضاء موجودة عند الدولتين . . ولكن الأمريكان بعد ذلك تفوقوا على الروس كثيرا جدا . . فالأمريكان أول من أنزل إنسانا على سطح القمر . . وأول من أطلق المراصد الفلكية تدور حول الأرض . . وأول من قام بتصوير الكواكب الأخرى وتحليل جوها وترابها .

وفى سنة ١٩٧٥ التقت سفينة فضاء أمريكية «أبولو» وسفينة فضاء روسية «سيوز» وانتقل الروس إلى السفينة الأمريكية والأمريكان إلى السفينة الروسية وتبادلوا الأعلام والصور والهدايا . . وقد تعلم الروس كم كلمة إنجليزية والأمريكان بعض

الكلمات الروسية . . أما المعنى فهو ما دام الروس لديهم نفس القدرة والأمريكان أيضا فلماذا لا يتعاونان .

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتى ، فقد أثبت الروس أن لديهم أكبر عدد من علماء الذرة والفضاء أيضا . . عشرات الألوف . . وقد حاول الأمريكان شراءهم كما اشترى الخبراء الألمان أسرى الحرب الذين أقاموا كل مشاريع الفضاء الأمريكى . . ولكن روسيا العريقة في العلم والأدب والحضارة رغم الفقر ، احتفظت بعلمائها . . فليسوا للبيع بأى ثمن . . ورغم الصعوبات المادية الفظيعة فإن روسيا سوف تعود دولة عظمى بعد عشر سنوات -لا شك فى ذلك - وسوف تساعدها أمريكا على ألا تكون دولة شيوعية مرة أخرى . . ولكنها ستساعد على أن تكون دولة قوية . . وهى بالفعل قوية بثرواتها الطبيعية وعلمائها وحضارتها ورجالها ونسائها . . ورغم حالة البؤس التى يعانى منها الشعب الروسى فقد أطلق العلماء سفينة مزودة بالمرايا التى تبلغ أقطارها مئات الأمتار . . وقد عكست هذه المرايا ضوء الشمس على عدد من المدن فى أوروبا فاضاءتها ليلا . . وكان ضوؤها باهرا . . المعنى أنه فى حالة تعطل المحطات المولدة للكهرباء فى الأرض يمكن استخدام الطاقة الشمسية ويمكن جعل الليل نهارا دائما وأخيرا ارتفع المكوك الأمريكى «دسكفرى» وفيه رائد روسى وعاد المكوك سالما . . وقبل نهاية هذا القرن سيقيم الأمريكان بمساعدة الروس مدينة فضائية تزن ١٨ ألف طن . وسوف تساهم دول كثيرة فى تكاليف شحنها إلى الدوران حول الأرض وإلى تركيبها وتوفير وسائل الحياة والإقامة الطويلة بهذه المدينة ،

وهى أول مدينة من صنع الإنسان تدور حول الأرض . . أو تكون لها سرعة دوران الأرض مثل الأقمار التليفزيونية والتليفونية .

وعندما تتحسن الأوضاع الاقتصادية فى أمريكا وروسيا سوف يهبط مكوك فضائى على سطح المريخ . . لأن الأمل البعيد هو أن ينتقل الإنسان إلى الحياة على سطح المريخ . . رغم التفاوت الهائل فى درجات الحرارة عند قطبى المريخ وخط الاستواء ، فإن العلماء يرون أن الحياة ممكنة بصورة ما .

والأمريكان قد أصيبوا بنكسة علمية شنيعة كادت تهدم مؤسسة الفضاء عندما بعثوا بسفينة اسمها «مراقب المريخ» ودخلت فى مدار حول المريخ ، ولم تطع الأوامر الصادرة لها من الأرض . . ثم فقدت النطق تماما ولا بد أن يكون خلل ما قد أصاب عقولها الإلكترونية أو أجهزتها الكهربائية . . ثم طوح بها العلماء بعيدا عن المريخ .

وخسرت أمريكا ألف مليون دولار . . ولم تسترد ثقة الشعب الأمريكى إلا عندما بعثت هيئة الفضاء الأمريكية «ناسا» بطاقم يصلح عدسات المرصد الفضائى «هابل»الذى أصيبت عيونه بقصر النظر . . فركبوا له عدسات وعيونا جديدة حديثة . . ونقل المرصد إلى الأرض صورا أجمل وأدق . . وهنا أحس الشعب الأمريكى دافع الضرائب أن أمواله لم تضع فى الفضاء الخارجى . . وعاد المكوك الفضائى «دسكفرى» بعد رحلته الثانية عشرة الناجحة وسوف يعكف العلماء على تحليل المعلومات والصور الرائعة التى عاد بها إلى الأرض .

ترتيب الخلايا..

نفرض أن أمامك مائة ألف كتاب . . هذه الكتب بلا عناوين . . وفى هذه الكتب فصول بلا عناوين أيضا . . أما الصفحات فبلا ترقيم . ومطلوب منك أن ترتب هذه الصفحات فى فصول فى كتب وأن تضعها هكذا على رفوف متوازية وفى ٢٣ غرفة . . فما الذى يمكن أن تفعله . . من المؤكد أن هذه مهمة شاقة جدا . . وإذا تحققت فسوف يكون عملك هذا إعجازا أو معجزة .

بالضبط هذا الذى واجه عددا من العلماء الفرنسيين من معهد «جنتون» فقد كان أمامهم أن يعيدوا ترتيب الجينات أو الصفات الوراثية فى الخلايا . . وسوف ينشر العلماء الفرنسيون الخريطة التى وضعوها لأول مرة فى التاريخ لمعرفة أسباب الأمراض فى الجسم الإنسانى . . أو حاملات الميكروب وضعف المقاومة فى الخلايا . . وقد استطاع العلماء الفرنسيون فى خريطتهم التى رسموها لمسببات ثلاثة آلاف مرض بعد كفاح استغرق ثلاث سنوات . . يعنى إيه؟ يعنى أن «الجين» أى ذلك الجزء الصغير جدا جدا الذى يحمل الصفات الوراثية من كائن إلى كائن . . وهو موجود فى الكروموزومات أى الصبغيات . . هذا الجين بعد الدراسة الصعبة المعقدة والتى اعتمدت على أحدث العقول الإلكترونية والإنسان

الآلى قد اهتدت إلى : كيف تنقل هذه الجسيمات الوراثية أى ناقلات الصفات الوراثية . ورتبوها لأول مرة فى تاريخ الطب . هذا الجين عبارة عن شعيرات إذا أضيفت بعضها إلى بعض صارت مترا ونصفا ، مع أن هذا الجين لا يزيد سمكه على واحد من ألف من سمك شعرة الرأس! ولم نكن نعرف حتى وقت قريب جدا بالضبط كيف تنتقل صفات الأب والأم معا . . شفتا الأم وعينا الأب ولمعان أضافرها . . وصفات الجدة والجد . . كل ذلك كيف ينتقل من جد إلى ابن إلى حفيد . . كيف؟ وما هى وسائل نقلها . . وأين يوجد ذلك فى خلايا الإنسان . . وما هذا العقل الذى يدبر نقل الصفات الجسمية والعقلية؟ بل وصفات السلوك الإنسانى أيضا ، فالطفل الذى مات أبوه ولم يره نجده يجلس بنفس طريقة والده الذى لم يره . . ويمتنع عن أكل الجبن والزيتون مثلا التى كان أبوه لا يحبها . . على الرغم من أن الأم تحاول أن تعلمه كيف يأكلها . . ولكن قوة فى داخله تمنعه من ذلك . . كيف يضحك كيف يهتز كوالده الذى لم يره . . من الذى ينقلها . . وكيف يحتفظ بها فى هذا الجزء الصغير جدا ، وكيف يمكن للأطباء أن ينقلوا هذه الصفات أو يضاعفوها . . وكيف يستطيع علماء «الهندسة الوراثية» أن يغيروا ألوان وأحجام الأسماك والأبقار والطيور والنباتات أيضا . . بل إن العلماء قد ذهبوا إلى أن العيوب الأخلاقية هى أصلا عيوب خلقية . . وأحدث النظريات العلمية الآن تقول : إن سبب استخدام بعض الناس ليدهم اليسرى لا علاقة له بالأسرة وبالأب أو الأم . . وإنما سبب ذلك موجود فى العقل . . فالإنسان يولد هكذا «الرئيسان بوش وكلينتون والمرشح

ضدهما بيرو دافنش» وغير ذلك كثيرون ، وقد رأيتهم فى تايوان قد حولوا الأوز الأبيض إلى أوز أسود . . وضاعفوا حجم وطول وعرض الأسماك النيلية -التى ليست موجودة عندنا الآن ـ وغيروا سلوك الجمبرى ، فقد كان الجمبرى يخرج من تايوان إلى المياه الدولية فيجد الصيادين اليابانيين فى انتظاره . . ولكن علماء تايوان غيروا سلوك الجمبرى فجعلوه يخرج إلى حدود المياه الإقليمية ثم يرتد عائدا إلى الدخول فى المصايد التى أعدتها تايوان له .

مسرحية ممنوعة ؟!

بالتمام والكمال مرت أربعة قرون على ظهور مسرحية (روميو وجوليت) للشاعر العظيم شكسبير . . وليس فى دنيا الأدب والمسرح من لم يقرأ هذه المسرحية البديعة . . وليس فى الدنيا كلها قلب لم يتوجع لما أصاب روميو وجوليت . . أو قيس وليلى . . أو قيس ولبنى . .

وفى هذه الأيام بالذات حدث شىء عجيب فى لندن فقد كان من المفروض أن يذهب أطفال إحدى المدارس لمشاهدة المسرحية العظيمة . ولكن ناظرة المدرسة رفضت ذلك واتهمت شكسبير بأنه إنسان عادى وليس شاذا!!

ولذلك منعت التلامذه الصغار (١١ سنة) من مشاهدة هذه المسرحية (الشاذة) . . لأنها تصور نوعا واحدا من الحب .

وثار الآباء وجاءت وزيرة التربية والتعليم السيدة جين براون وتشكلت لجنة لمساءلة ناظرة المدرسة وأعلن أولياء الأمور أنهم سعداء بأن يتفرج أولادهم على هذا العمل الأدبى الرائع . . الذى ظهر فى كل لغات الدنيا . . مسرحية وأوبرا وباليه . . وطالبوا بتنحية ناظرة المدرسة وعقابها . .

وتقرر إبعاد هذه الناظرة وذهاب الأطفال لمشاهدة المسرحية .

ولكن هناك مشكلة وهى أن هناك اتجاها تربويا فى أوروبا كلها لكى يعرف الأطفال مبادئ الثقافة الصحية والإنسانية . حتى لا تكون لديهم أوهام ومخاوف . . وحتى تكون معلوماتهم كلها صحيحة عن العلاقات الإنسانية بكثير من الألغاز والخرافات وقد أفسد حياة الإنسان .

وفى نفس الوقت هناك نظريات ترى : أن كشف أسرار العلاقات الإنسانية وتحويلها إلى وظائف بيولوجية تفسد الجو الشاعرى الذى يحيط بالحب . . وهو أعظم العواطف الإنسانية وأقدرها على تغيير الحياة وتلوينها وإثارتها للتعبير أدبا ورسما وموسيقى .

وأصحاب هذه النظرية يرون أن العلاقات الإنسانية قد فسدت تماما . . فالابن لا يرى احترام أبيه وأمه واجبا أخلاقيا . ولا يجد أى مبرر للامتنان لهما ، لأن الأب والأم قد أتيا به دون استشارته فى ذلك ، وهما –إذن– ملزمان بتحمل تبعات هذا القرار . . ولا داعى لأن يشكرهما أحد على ذلك!!

أذكر أننى طلبت من طفل أن يقبل يدى والديه . واندهش الطفل وقال : ولكن لماذا؟

قلت : احتراما .

وتساءل : يعنى إيه؟

قلت : امتنانا لهما؟

قال : على إيه؟

قلت : لما يقدمانه لك من طعام وشراب ومدارس وملابس ورحلات .

قال : كل الآباء يفعلون ذلك .

قلت : كل الآباء يستحقون الشكر على ذلك .

قال : مش فاهم .

ولم أقل شيئا ؛ لأننى لم أجد ما أقوله ولا هو اقتنع ولا أنا استطعت إقناعه . .

وكل العلاقات الإنسانية قد تحولت إلى هات وخد . . شيلنى وأشيلك . . لا حب دائم ، ولا صداقة دائمة ولكن مصالح . . منافع بين الجميع!

بسكلت فوق !

هناك مشكلة فى سفن الفضاء وجدوا لها حلا أخيرا جدا ، المشكلة هى أن رواد الفضاء يقضون وقتا طويلا فى الدوران حول الأرض فى منطقة انعدام الوزن ، أى وزن الجسم الإنسانى ووزن سفينة الفضاء نفسها ، ثم إنهم لا يتحركون ومن شأن عدم الحركة أو بعضها أن تضعف عضلات الساقين . . فيكون رائد الفضاء مكسحا أو غير قادر على الحركة المنضبطة ، ثم إن نقص الحركة يؤدى إلى خلل فى الكالسيوم فى الجسم وإلى أن تصبح العظام هشة كل عظام الجسم الإنسانى .

ولذلك كانوا يضعون فى كل سفن الفضاء بسكليت «دراجة» لكى يقف عليها رائد الفضاء ويقوم بتدريبات يومية ساعات أحيانا قبل النوم وأحيانا قبيل النوم وقبل الأكل ولكن وجدوا أن حركة البسكليت هذه تهز سفينة الفضاء مما يؤثر على أجهزتها الدقيقة المعقدة . . فيجعل السفينة تطلع وتنزل وأحيانا تدور حول نفسها .

وأخيرا علقوا هذه البسكليت فى سقف السفينة وكان الاهتزاز أقل ولكنها كانت تهتز أيضا .

وطلبت وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» إلى عدد من الشركات أن تساعدها على حل هذه المشكلة : صناعة بسكليت يتمرن عليها رواد الفضاء دون أن يؤدى ذلك إلى اهتزاز السفينة وارتباك عقولها

الإلكترونية وعدساتها المصوبة نحو الفضاء الخارجى ومثل ذلك الاهتزاز يضيف إليها مشاكل لا داعى لها ولا قدرة للرواد على حلها . . فالوقت ضيق جدا . .

ووضعت وكالة ناسا شروطا للبسكليت المطلوبة .

أولا : أن تكون البسكليت خفيفة الوزن .

ثانيا : أن تكون غير قابلة للكسر وأن تقاوم درجات الحرارة ، بل تكون درجة حرارتها أقل من درجة حرارة السفينة نفسها .

ثالثا : ويمكن طيها فتشغل حيزا صغيرا جدا . وأخيرا اهتدت إحدى الشركات الأمريكية إلى اختراع هذه «البسكليت» التى تمتص الاهتزازات وقد تدرب عليها رواد الفضاء الأمريكان فى المكوك الفضائى الأخير «دسكفرى» وأثبتت الأجهزة التى سجلت حركة البسكليت ورائد الفضاء فوقها بأنها تقترب من الصفر ، وهى تتعلق بسقف السفينة وينام الرائد على ظهره ويحرك ساقية فوق عدد من السوست التى تمتص الحركة ورد الفعل فى نفس اللحظة .

ورفض علماء النفس فى هيئة الفضاء الأمريكية الاختراع الذى تقدمت به إحدى الشركات والذى يتولى هو تحريك الساقين دون أن يبذل الرائد جهدا عضليا فى ذلك فقد رأى علماء النفس أنه من المهم جدا أن يبذل رائد الفضاء مجهودا وأن يتعب قليلا بتشغيل جهازه العصبى فى كل ذلك . . فيكون إنسانا سويا لا إنسانا آليا يتحرك من الأرض طبقا لأوامر تصدر له من محطات المتابعة الأرضية . . ولابد أن يتأهل رائد الفضاء -قبل هبوطه- إلى أن يكون إنسانا عاديا إيجابيا لا سلبيا تماما!

البداية ألمانيـة !

كل نقط التحول فى حياتى الأدبية والفلسفية كانت ألمانية . . فأول مجلة قرأتها فى حياتى كانت ألمانية . . وكانت عن شركات الأسمدة فى مصر لأصحابها ثابت ثابت وشركاه .

وأول فيلم سينمائى رأيته فى حياتى وأنا طفل . فيلم عن ما الذى يفعله أسبرين باير بالدماغ . . فقد كانت تجىء إلينا فى الريف عربة لامعة نظيفة جميلة يقودها واحد خواجة أزرق العينين ذهبى الشعر وردى البشرة ، وكان يختار أية أرض خالية ويضع شاشة على الحائط وتظهر على الحائط صور كاريكاتورية لما يفعله الأسبرين .

وكنا نسمع أغنية وموسيقى تقول : هاتوا براد شاى؟ هاتوا براد شاى! وعرفت فيما بعد أن الأغنية تقول : كوكا راتشى . . كوكا راتشى!

أعجب من ذلك أن من طبيعة الإنسان –والطفل بصفة خاصة– أن يلمس كل شىء بيديه . . فكنا إذا حاولنا أن نلمس السيارة فإن أيدينا ترتعش وبعضنا يقع على الأرض . . فالسائق قد كهرب السيارة حتى لا يقترب منها أحد! وأول رواية مترجمة قرأتها فى حياتى كان اسمها «الحب والدسيسة» للشاعر الألمانى شيلر . .

وأول قصيدة شعر حفظتها بأية لغة أجنبية كانت للشاعر الألمانى جيته . . وأول نشيد وطنى لأى بلد أجنبى كان نشيد : ألمانيا فوق الجميع . . فوق جميع من فى العالم . . الوحدة والعدل والحرية من أجل الوطن الألمانى . . وأول فيلسوف هزنى وترك فى نفسى أثرا عميقا ولعشرات السنين كان شوبنهور أستاذ التشاؤم وأعدى أعداء المرأة . . وقد تأثر به العقاد وأعلن ذلك صراحة ، وتأثر به توفيق الحكيم ولكنه لم يشأ أن يعترف بذلك ، وتأثرت به وأحببته وعشقته وأعطيته ألف عذر!

ولما درست الفلسفة الوجودية ، ولما قمت بتدريسها فى الجامعة ١٥ عاما كان أستاذى الأول هوك مارتن هيدجر أكبر أدباء الفلسفة الوجودية وأكثرهم عمقا وبأسا وقرفا من عجز الإنسان! وقد دارت دنياى حول كل هؤلاء وبعضهم توارى وبعضهم مات من حياتى ليفسح للآخرين . . ولم يبق إلا أسبرين باير الذى مضى على اختراعه الآن مائة سنة بالتمام والكمال ، ولا يزال هذا الدواء الرخيص أعظم وأبدع وأنجح وأنفع ما صنع الإنسان . .

أما باير هذا فهو فريدريش باير مات سنة ١٨٨٠عن ٥٥ عاما بعد أن أسس الشركة التى تصنع الآن كل شىء فى الدنيا . . وليس هذا الأسبرين إلا خلاصة أعشاب أهمها قشور الصفصاف . . الذى أوصانا الفراعنة بشربه كالشاى والينسون .

ناجح جدًا ..

طبعا لم أذرف الدمع غزيرا عندما رأيت المليونير «إد ترنر» صاحب شبكة «سى . إن . إن» أشهر محطة إخبارية تليفزيونية فى العالم وهو «يتمسكن» لقد وجدته شابا وسيما حليوة رشيقا بهيجا وفى يده تعلقت الجميلة الشابة جين فوندا التى ورثت عن والدها سبعين مليون دولار . . ولما تزوجت «ترنر» جاء فى نص عقد الزواج أنه إذا تم طلاقها فنصيبها عشرة ملايين دولار من كل ثروته التى تقدر بأربعة آلاف مليون دولار . . والقانون الأمريكى يعطى للزوجة نصف ثروة الرجل إذا تزوجته ٢٤ ساعة . . يعنى لو ضحكت عليه أية بنت صغيرة حلوة وتزوجته وطلقته فى الصبحية فهى تملك نصف ما يملك . . إلا إذا كان عقد الزواج ينص على شىء آخر .

وقد قلبت فى مذكرات ترنر فوجدت الرجل كان طفلا معذبا شقيا ، وقد فكر فى الانتحار مثل والده الذى انتحر . . وكان أبوه يرى ابنه تافها ولا أمل فيه . . ولذلك كان قاسيا عليه . . ولا يراه ولا يحب ذلك . . وكذلك كانت أمه .

ومذكرات ترنر لها معنى واحد لم يكن الأمر سهلا كما يبدو!

وعندما نجح ترنر وقف على مقعد فى البيت ونظر إلى صورة والده على الحائط وصرخ يقول : هل يكفيك هذا يا أبى!

وكان أبوه قد مات . .

وأما نجاح ترنر هذا فهو أنه أول واحد فى الدنيا استطاع أن يستغل الأقمار الصناعية فى شبكته العالمية فقد بدأ بشبكة إخبارية واستعان بعدد من الناس لا خبرة لهم فى الإذاعة . . ولكنه نجح ونجح . . وانتقل من التليفزيون إلى صناعة الفيديو والسينما وصناعات أخرى متعلقة بها . . وفى الدورة الأوليمبية القادمة والتى سوف تجرى فى بلده «أطلانطا» حيث المركز الرئيسى لشبكة «سى . إن . إن» سيكون له قمر صناعى خاص به . . وفى هذه المدينة أيضا يوجد بيت مرجريت ميتشيل «١٩٠٠ - ١٩٤٩» مؤلفة رواية «ذهب مع الريح» التى ظهرت سنة ١٩٣٧ والبيت متحف قومى .

وقد ذهبت فى الشهر الماضى إلى هذا البيت وتفرجت على الأديبة التى شغلت ملايين الشباب وأحرقت قلوبهم وأشعلت النور والنار فى أحلامهم بأبطال «ذهب مع الريح» وظهرت على شاشات الدنيا أفلام كثيرة تقلد هذا الفيلم . . إن رواية واحدة استطاعت أن تطيل عمر الحب فى الدنيا . . وأن تتحدى بهذا الحب النار والدمار فى الحرب العالمية الثانية ولاتزال قادرة على ذلك!

وترنر يقول : إن هدفه هو التعليم والترفيه والحب .

ففى الدينا معلومات كثيرة ولكن الناس لا يستفيدون منها وفى الدنيا عناء وشقاء ولابد أن تخفف عن الناس . . وفى الدنيا دماء ودمار وكراهية وحقد وعلاجها جميعا الحب .

وهو يفعل ذلك ويكسب ألوف الملايين!

عدو المرأة !

أنا مع الأستاذ العقاد وليس مع توفيق الحكيم فى أننا أعداء للمرأة .

وهى صفة تطاردنى من حين إلى حين . مع أننى أصدرت أكثر من ١٥٠ كتابا ، لا تخلو من الكلام عن المرأة ، صحيح أن أعراض الكراهية مثل أعراض الحب ، فالكاره والعاشق كلاهما مشغول بالمرأة . . ومن السهل أن ينتقل الإنسان من الحب إلى الكراهية . ومن الكراهية إلى الحب . ولذلك فإن علماء النفس يصفون مثل هذه العلاقات بأنها حب وكراهية معا . . أى اقتراب شديد وابتعاد شديد . . فالذى يكره واحدة ينشغل بها فى كل وقت أو يحاول الانتقام منها . . والذى يحبها مشغول بها أيضا من قريب أو من بعيد . . والعقاد أعمق فى كراهية المرأة أو على الأصح أعمق فى فهم المرأة . . وفى فلسفة سلوكها . وهو يصفها كما هى بمنتهى الدقة العلمية والموضوعية دون مجاملة لها أو دوران حولها . . والذى فعله العقاد مع المرأة فعله أيضا مع الرجل ، وأنا أيضا مشغول بالعلاقات الإنسانية والعلاقات السوية .

ولكن توفيق الحكيم قد اشتهر بأنه عدو للمرأة ، مع أن عداوة الحكيم لطيفة ورقيقة ، وهو لم يكن عدوا تماما ، فقد أحب وتزوج .

أما أنه أحب فقد حدثنى عن ذلك طه حسين وقال : إن أخانا توفيق كانت له مغامرات فى باريس .

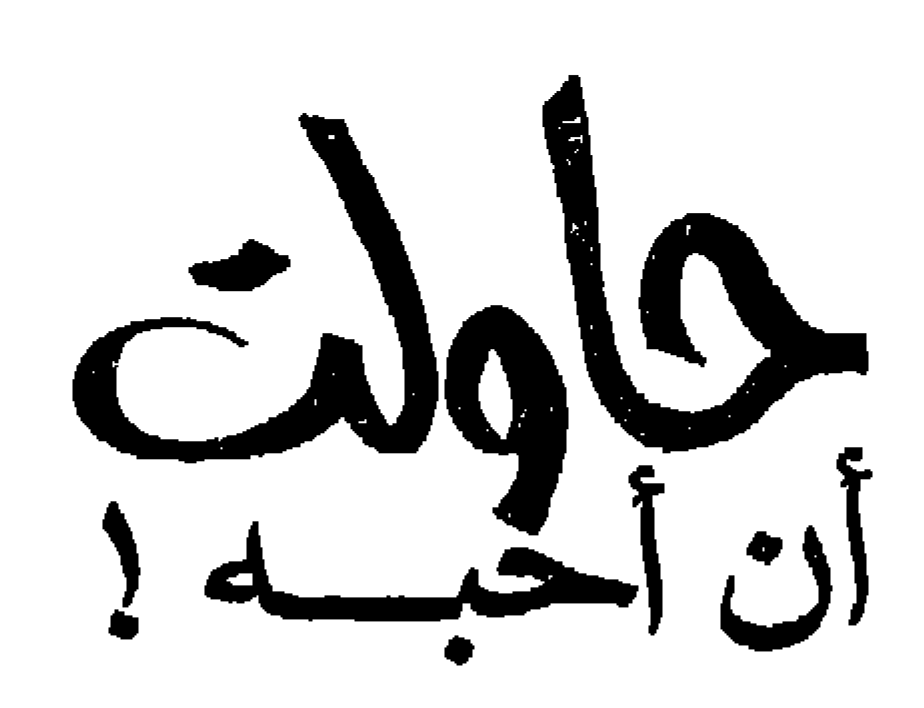
ولما سألت توفيق الحكيم ضحك وقال : وطه حسين له مغامرات وكنا نجلس على المقهى وتجيء فلانة وعلانة ويتحول طه حسين إلى مراهق جميل بديع وينساب الشعر من شفتيه فرنسيا وعربيا .

كان أحدهما لا يصح أن يحب ، وكأن الحب شيء غريب من الفنان الذى عاش وحده فى باريس أو فى مصر .

ولكن عداوة الحكيم ساعدتها الصحافة والكاريكاتير على أن تنتشر وأن تلتصق به هذه التهمة ، كما التصقت به صفة البخل ، ولم يكن توفيق الحكيم بخيلا ، وإنما هو شجع الناس على التمسك بهذه الصفة ، وجعلها مادة للفكاهة ، وقد جنت عليه هذه الصفة لدرجة أننا أقمنا له احتفالا بعيد ميلاده ، وتحدثنا «عشرين كتابا» ، لم نجد إلا صفات البخل ، واقترحت إلغاء هذا التسجيل التليفزيونى وعدم إذاعته ؛ لأن هذا التسجيل ظلم للرجل وإهانة لنا . . فمعناه أننا لم نجد فى كل ما قدم الحكيم فى الأدب والفن والمسرح والفكر إلا هذه النكتة السخيفة . . فما أسخفنا وما أظلمنا أيضا .

ولكن العداء العنيف والسخرية القاتلة والتشريح والتجريح العميق هو الذى كتبه العقاد ، وكان العقاد متأثرا بالفيلسوف الألمانى شوبنهور ، وأنا أيضا ، وشوبنهور له آراء كثيرة فى المرأة ، إن المرأة مختلفة تماما عن الرجل .

أما الحكيم فيرى أن المرأة التى تلصص عليها . . هى إنسان معقد ضعيف شرير . . وأنه مع الأسف ليس أمامنا غيرها ، فالضرورة لها أحكام ومن أحكام الضرورة أن نحبها وأن نتزوجها وأن نلعنها فى جميع الأحوال ونلعن ضعفنا أيضا .



حاولت أن أحبه !

تختلط المعانى فى رأسى وأنا أنظر إلى أديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعى . حاولت أن أحبه ولكننى لم أستطع . لماذا؟

أما أنه عالم وأديب وفنان ، فلا شك فى ذلك . . بل لم يحدث أن استطاع أديب عربى أن يشعر بعبقرية اللغة العربية كما أحس الجاحظ ومصطفى صادق الرافعى . .

أنا معجب بقدرته الفريدة على توليد المعانى والصور . . وهذا واضح فى كتابه «السحاب الأحمر» الذى امتلأ بالحكم والعبارات المضيئة الأنيقة . . مثل كبار حكماء الغرب : باسكال ولا روشوفوكو وبيكون . . ولو اخترت بعض عباراته الحكيمة لامتلأت هذه الصفحة . . وفى كتابه «أوراق الورد» . . وكتابه «رسائل الأحزان» .

وهو قد أحب الأديبة «مى» . . ولكنه ليس الوحيد . . بل أحبها كل عظماء عصرها : العقاد وطه حسين ولطفى السيد وإسماعيل صبرى وجبران ، وعندى رسائل العقاد لها ، ورسائلها إليه . . والعقاد يحب ويخاف أن تقع هذه الرسائل فى أيدى خصومه . . وهى تحب العقاد ولكنها تخشى أن تشجعه ، فهناك آخرون غيره . . ولكن قلبها كان مع أديب لبنانى مسيحى مثلها . .

وكانت مى تكبر العقاد وطه حسين بأربع سنوات . . أما

مصطفى صادق الرافعى فقد أحبها . وكتب وتخيل . وأبدع . ولكنه كان يؤكد للناس أنها هى أيضا تحبه وأنها . . وأنها . . وتضايقت مى من ذلك . . والذى لا يعرفه الناس هو أنه من الصعب أن يكون بينهما حوار فهو ثقيل السمع . . وهو لم يلقها إلا ضمن آخرين . فحوارات الحب بينهما ، كانت من اختراعه ، لا مانع مادام الذى يقوله أدبا جميلا . .

والنقاد القدماء يقولون عن الشعر : أعذبه أكذبه!

أى أجمل الشعر ما كان من خيال الشاعر ، والواقع لا يهم . . فليتخيل الشاعر أنه أحب وأنه وأنه ، وأن المحبوبة غارقة فى حبها له وأنها وأنها . . فالذى يهمنا هو الجمال الشعرى .

يقول مصطفى صادق الرافعى :

يا من على الحب ينسانا ونذكره

لسوف تذكرنا يوما وننساكا

إن الظلام الذى يجلوك يا قمر

له صباح متى تدركه أخفاكا

الله يا أستاذ الله!

والذى ضايقنى من مصطفى صادق الرافعى ليس أنه أحب مى ، وليس أنه يؤكد ذلك . . ولكن أنه كان يشنع عليها ، دون أن يحترم عذابها وحساسيتها وصراعها الذى أودى بها إلى مستشفى الأمراض العقلية فى بيروت . .

وربما كان هناك سبب آخر ثانوى ، هو هجومه الجارح على الأستاذ العقاد . . هذا السبب موجود ولكنه ليس السبب الأكبر . .

أما مئات التعريفات التى كتبها عن الحب ، فهى صناعة بديعة ، توليد للمعانى من المعانى . . واستخراج صور من صور وصناعة عقود من الورد الشائك ومن اللؤلؤ . . وعيبها جميعا أنها ورود صناعية . . لؤلؤ فالصو . . ولكن الشكل بديع والألوان موسيقية ، أما «الحياة» فليست هناك . . لأن مصطفى صادق الرافعى كان نحاتا قد برع فى تشكيل الخشب والورق والحجر . .

وكأن أمير الشعراء قد كان يقصده عندما جعل فتاتين فى مسرحية «مجنون ليلى» تتحدثان عن الفرق بين حب بنات البادية وحب بنات الحضر . . أو البدويات والحاضرات . .

تقول البدوية :

ونحن الرياحين ملء الفضاء

وهن الرياحين فى الآنية

ويقتلنا العشق والحاضرات

يقمن من العشق فى عافية

ومصطفى صادق الرافعى لأنه مفكر إسلامى ، فقد استكثر الناس عليه أن يحب . .

كأن الحب جريمة والتعبير عنها كفر!

وسوف يذهب كل الذى كتبه مصطفى صادق الرافعى ، ويبقى ما كتبه عن الحب . . أو تخيل أنه حب!

أم كلينتون !

تمنيت أن يظل بوش رئيسا لأمريكا . . ولكن الأمريكان أرادوا كلينتون وبأغلبية ساحقة . تمنيت أن تبقى السياسة الخارجية لأمريكا كما هى بعض الوقت ، حتى تستقر أوروبا الغربية والشرقية . . وحتى تتم عملية السلام فى الشرق الأوسط وفى الخليج ، ولكن الأمريكان أرادوا والرأى لهم فكان كلينتون ذلك الشاب اليتيم الوسيم هو رئيسهم الجديد .

وكلينتون أمه كانت ممرضة . مات أبوه قبل أن يولد بثلاثة شهور ، وتزوجت أمه رجلا ثانيا . هذا الرجل هو الذى اسمه كلينتون . وهو رجل سكير عنيف يضرب أمه ضربا مبرحا ، وأطلق عليها الرصاص ، ولم يصبها وتم طلاقها منه . ثم عادت إليه بعد ذلك ، وأنجبت منه ولدا هو الأخ الوحيد لبيل كلينتون ، ومات زوجها هذا وتزوجت رجلا ثالثا ، ودرست أم كلينتون السيدة فرجينا علم التخدير ، وكانت تعمل على تخدير المرضى ، وقد فصلوها من عملها لأنها كانت تقرأ صحيفة السباق والمغامرات أثناء تخدير المرضى . وقدمت للمحاكمة ولكن المحكمة قد برأتها لعدم توافر الأدلة ضدها ، ومات زوجها الثالث بالسرطان . . وتزوجت زوجها الرابع وهو رجل ميسور الحال عنده مزارع وقصور وحمامات سباحة . .

وهى سيدة قوية الشخصية . . هوايتها الشباب تحبه ويحبها . . ولكنها تقوم بدور الأم إذا اتسع وقتها . . فقد تركت ابنها بيل كلينتون

إلى جده وجدته يعلمانه . . وقد أحسنا تعليمه فى جامعة أكسفورد ببريطانيا . . وكان بيل كلينتون يكره الحرب . وقد تظاهر ضد بلاده أثناء حرب فيتنام ودخل الجامعة فى بريطانيا حتى لا يدخل الجيش - فالدستور يمنع الطالب الجامعى فى الخارج أن يترك الجامعة ليحارب . .

وقد ورث بيل كلينتون عن والدته هذه قوة الشخصية والصلابة والإصرار على أن يصل إلى هدفه . . وسوف يرى الناس قريبا أم الرئيس أى «أم الشعب» وسوف يجدونها شخصية عنيدة قوية وأن قلبها كالحجر ، فهى قد تركت وحيدها عند أجداده وراحت تطارد الشباب ويطاردونها فى طول وعرض القارة الأمريكية .

ويؤكد الذين يعرفونها أنها قالت من عشر سنوات أن ابنها سوف يكون رئيسا لأمريكا ، وأنها على يقين من ذلك . .

وسوف يقوم الرئيس الأمريكى الجديد بأداء جديد فى إدارة شئون بلاده والعالم . فمعظم المشاكل العالمية قد حلها بوش . . شكرا له . وعلى كلينتون أن يتفرغ للمشاكل الداخلية وهى التى تهم المواطن الأمريكى فى المقام الأول . .

وقد لقى بوش ما لقيه تشرشل وديجول والسادات وجورباتشوف . . لقد حلوا المشاكل الكبرى وانتهى دورهم ، واختارت الشعوب غيرهم لأدوار أخرى . . وهذه حكمة الحياة ومزاج الشعوب ومصائر الأبطال الذين هم أكبر من شعوبهم . . ولكن شعوبهم أقوى وأمزجتها تتقلب - وأهم معالم أمزجة الشعوب أنها تريد وجوها جديدة وأصواتا وأشخاصا ، فإذا ملتها اتجهت إلى غيرها . . وإلى الأبد!

الطيور سامة !

كانت النظرية القديمة تقول : إن الطيور تتخذ ألوانها الزاهية وريشها الفخم لمجرد أن تلفت نظر الأنثى . . فالألوان والرقص والغناء والتغريد عند الطيور والحيوانات أضخم وأضخم من الإناث . . لكى يكون الذكر قادرا على أن يدافع عن الأنثى وعن صغاره . . وفى نفس الوقت تختار الأنثى الذكر القوى لاستمرار النسل .

هذه هى النظرية القديمة . . ولكن حدث فى الأسابيع الأخيرة أن اكتشف أحد العلماء الأمريكان شيئا عجيبا فى طائر اسمه «اليتوهى» فى غابات غينيا الجديدة . . الطائر صغير ولكن ألوانه خليط بديع بين البرتقالى والأسود . . فوجد أن هذا الطائر له ريش سام . . فلم يكد يلمس هذا الطائر حتى التهبت أصابعه . . ولما راح يلعق أصابعه التهبت شفتاه ثم أحس بنوع من الخدر فى شفتيه . . ثم الشلل التام!

وكانت هذه أول مرة فى التاريخ يكتشف فيها العلماء أن الطيور تدافع عن نفسها بإفراز السموم .

وكان الاعتقاد السائد هو أن الطيور إذا ما استشعرت الخطر فإنها تهرب . . ويكون الهرب هو وسيلتها الوحيدة للدفاع عن نفسها .

وفسر د . توماس ايزنر الأستاذ بجامعة كورنل بنيويورك : إن هذه هى المرة الأولى التى تتخذ فيها الطيور ألوانها الزاهية للتحذير . . فلا يكاد الطائر يشعر بالخطر حتى ينشر ريشه ويقف فى مكانه دون خوف . . وبتحليل هذه السموم وجد العلماء أنها تشبه

بالضبط السموم التى تفرزها الضفادع فى غابات الأمازون . . شىء عجيب حقا فما أبعد المسافة بين الضفادع الأمازونية وهذا الطائر «فى غينيا الجديدة يوجد ٥٢٠٠ نوع من الطيور» .

ثم وجد العلماء أن هذا السم مركز جدا . . وأنه يصيب الجهاز العصبى . . وأنه يعمل على إخلال التوازن فى مادة الصوديوم . . ويكون من نتيجة ذلك شلل فى الجهاز العصبى .

ويتساءل العلماء : كيف يحمل هذا الطائر الصغير كل هذه السموم المركزة ثم لا يصاب هو بأى ضرر؟

ومن أين يستمد مادة السموم هذه؟ وما هى النباتات التى يعيش عليها؟ أو ما هى الحشرات؟ ثم أين يقوم الطائر بصناعة السموم وكيف يبثها وبهذه السرعة الهائلة؟

ولاحظ العلماء أن أهل البلاد لا يقتربون من هذا الطائر ولا يأكلونه؟ ولاحظوا أيضا أن الثعابين مهما بلغت ضخامتها تمر بالقرب من هذا الطائر وتلتف حوله ولا تلمسه . . ثم إن هذا الطائر إذا رأى ثعبانا اكتفى بأن يحذره بألوانه ورقصاته وأعجب من ذلك أنهم أتوا بعصفور خرج من البيض لتوه ، ووضعوه إلى جانب ثعبان . . فاقترب الثعبان منه ثم ارتد . . كان الطائر يفرز مادة لها رائحة نفاذة مخيفة أيضا . . إذن فالسموم ليست فى الريش وإنما فى الجلد . . فكأن الطائر الصغير يخرج من البيضة مسلحا تماما بهذه المادة التى تفرض حياته على البيئة المتوحشة التى حوله .

وقد انفتح أمام العلماء باب جديد هو : أن هناك وسائل أخرى غير الهرب تحمى حياة الطيور . . وشيئا آخر هو : أن ألوان الطيور الزاهية والجميلة فى كل المناطق الحارة ليست نوعا من الماكياج للاستيلاء على قلب الأنثى . . وإنما هى علامات تحذير لكل الطيور والزواحف المتوحشة .

كفاحى ممنوع!

أعجب خبر : أن السلطات الألمانية منعت السلطات الأمريكية من بيع كتاب «كفاحى» الذى ألفه هتلر فى السجن!

وكانت قوات الاحتلال الأمريكية «٢٠٠ ألف جندى» تبيع كتاب كفاحى هذا فى مكتباتها -١٢٠ مكتبة فى جميع المعسكرات الأمريكية- فالكتاب لايزال يلقى رواجا عند الأمريكان وعند الألمان أيضا .

فالنازية الجديدة هى التى تروج لكتاب هتلر الذى أنقذ ألمانيا من الفقر والضياع . . ودفعها إلى الموت فى عظمة فى كل الجبهات فى أوروبا وروسيا وشمال أفريقيا . . وهتلر هو ابن البطالة وابن الكساد .

وهو الذى ملأ المصانع والحقول بالشباب الألمانى . . وأقام الصناعات الكبرى والصناعات الحربية . . ودفع ألمانيا بعد أن أقامت المدن ورصفت الشوارع ، إلى الاستيلاء على أوروبا ومعاقبة كل الذين أذلوا ألمانيا ومسحوا بها الأرض فى معاهدات السلام والاستسلام بعد الحرب العالمية الأولى .

أما سبب منع الكتاب فلا يخطر على بال أحد . . فألمانيا لا تعترض على بيع الكتاب أو حتى تداوله .

ولكن السبب هو «حق الأداء العلنى» الذى تملكه ولاية بفاريا فقط . . فهتلر ليس له ورثة . . ولذلك فهى ترى أن المكتبات

الأمريكية توزع الكتاب دون أن تدفع حق الأداء العلنى للولاية . . وأن الولاية قد حصلت على هذا الحق بقرار من المحكمة سنة ١٩٥١ .

وقد دفعت السلطات الأمريكية بأنها معفاة من الضرائب والجمارك .

وعلى ذلك فمن حقها أن تشترى الكتاب وتبيعه على كيفها . . ولكن وزارة الخارجية الألمانية نبهت السفير الأمريكى إلى هذه المخالفة القانونية الصارخة! فالمشكلة ليست سياسية ، وإنما هى مشكلة قانونية .

وعلى الرغم من أن القانون الألمانى يمنع الكتابة فى مدح هتلر ومدح هذا الكتاب ، إلا أن الكتاب نفسه ليس ممنوعا . . وإنما المنع والتحريم والتجريم لكل من يؤيد النازية فى الصحف والكتب والاجتماعات العامة فى أى مكان .

وقد ألف هتلر كتاب «كفاحى» فى السجن سنة ١٩٢٣ . . وقد دخل السجن بعد أن فشل الانقلاب الذى دبره . . وفى الكتاب هجوم عنيف على اليهود ودعوة إلى الانتقام منهم لأنهم سبب كل المصائب التى حاقت بألمانيا قبل الحرب وبعدها . . وقد انتقم منهم هتلر بإحراقهم بالملايين فى أفران الغاز فى : داخار وأوشنيفتس وبلزن وبوضنفالد وتريلنكا وغيرها .

ولكن أهم ما فى كتاب «كفاحى» ما وصفه هتلر من خطط للاستيلاء على أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتى . . وقرأ الناس الكتاب ولكن أحدا لم يتصور أن هذا الأومباشى العبقرى كان جادا فى أحلامه الجنونية . . ولكنه كان جادا .

واندفعت قوات هتلر فاستولت على أوروبا الشرقية والغربية واتجهت إلى بريطانيا بالصواريخ وزحفت على روسيا وعلى شمال أفريقيا .

ولايزال هتلر مصدر خوف فى أوروبا وأمريكا . . فالعالم يعانى من البطالة والكساد . . وربما كان هذا هو السبب الذى جعل الشعب الأمريكى يختار بيل كلينتون بديلا عن جورج بوش . . ولكن فى نفس الوقت فالناس يخافون من أن يؤدى الاضطراب الاقتصادى الذى أحدثه هيلموت كول وميتران وميجور وبوش إلى أن يولد هتلر جديد . . أو واحد شبيه به فى أوروبا وفى أمريكا . . ليقضى على البطالة فيشتغل الناس فى المصانع الحربية ، ويقضى على الكساد بتصدير ترسانات من السلاح إلى أركان الدنيا .

إن الخوف أبو العدوان والعدوان أبو الحرب!!

إفلاس!

بمنتهى الصراحة : نحن ننظر إلى مسلسل «ألف ليلة وليلة» الذى يقدمه التليفزيون المصرى فى رمضان على أنه نوع من الإفلاس . لماذا؟

لأننا احتفظنا بالشكل الروائى للقصص والمضمون أيضا . فلا قدمنا ولا أخرنا ولا أضفنا جديدا لذلك . . وعلى الرغم من أن الأطفال الصغار فى أى بيت يلعبون بالأتارى والأجهزة الإليكترونية ويرون عجائب الدنيا فى التليفزيون ، فإن «ألف ليلة» بباطتها السحرى وخروج الناس من الماء واختفائهم مع إشارة من أصبع العفريت ، كل ذلك لم يعد يبهر الأطفال ولا الكبار طبعا ، ولا شك فى أن هذا الذى يقدمه كل سنة هو ، إفلاس سنوى!

ولكن الكارتون الأمريكى الذى بلغ القمة فى الصورة والحركة والمضمون ، قد قدم هذا العام جزءا من ألف ليلة . حكاية علاء الدين والسلطان والوزير جعفر وست الحسن والجمال ياسمين بنت السلطان . .

ولكن علاء الدين هذا هو الفأر الذى يموت من أجل المحبوبة وعلى استعداد للتضحية فى سبيل الحب والجمال والمغامرة فهو بطل الفيلم الكرتون الذى تكلف مائتى مليون دولار -نقول كمان- مائتى مليون دولارا

ومن المتوقع أن تكسب الشركة التى أنتجت هذا الفيلم ٨٠٠ مليون دولارا لماذا؟ لأن شيئا جديدا قد قدمته . . فالأسماء القديمة هى هى . . ولكن الدور والمعنى والحركة والهدف والجو المضحك

الذى يقوم به علاء الدين يرقى بالفنانين الذين صنعوه صوروه وحركوه إلى قمة القمم فى الإبداع الفكرى والفنى!

وعلى لسان علاء الدين تجىء الحكم والفلسفة . . فهو مواطن جاء من الشرق الأوسط ومن ألف ليلة وليلة يزف إلى دنيا الغرب حكمة الحب ، وسلطان العدل ، فى مملكة الجمال ، وهى من أعظم ما يبهر الشباب والأبطال والذين يغامرون ولا يتهيبون الخطر . المهم أن يتسلطن الحب على عرش الجمال وأن يتساقط أمام العرش كل الحالمين والمغامرين والذين يجدون فى العذاب لذلة ، وفى الموت تصفية لحسابات التردد والخوف والجبن .

وهنا تكمن البراعة فى الإبداع الفكرى : كيف نجعل القديم جديدا ، والفكر إبداعا وأن ننافس بذلك الشرق والغرب معا . ثم نكسب مئات الملايين!

وسوف تظل «ألف ليلة وليلة» بالصورة والمعانى التى نقدمها كل سنة ، إفلاسا متكررا وفنا سقيما سخيفا ، لا يعجب لا الكبار ولا الصغار ، إلا إذا . . أرجو قراءة هذا المقال من أوله .

وبهذه المناسبة أتذكر أننى سألت الأديب الإنجليزى العظيم سومرست موم عندما كان فى القاهرة إن كان قد قرأ العقاد أو طه حسين أو الحكيم ، فقال : ألف ليلة وليلة فقط!

ويومها هاجمنى الأستاذ العقاد بعنف وهاجم موم أيضا - وأدهشنى ذلك!

وقال العقاد : لو أن رجلا أعمى لم يستطع أن يرى الشمس فالعيب فيه وليس فى الشمس!

فليكن! ولكن الرجل لم يقرأ إلا فى ألف ليلة!

روميل في المستشفى!

الجغرافيا هى التى جعلت لهذه القرية تاريخا خالدا . . القرية هى العلمين . . فليس لها وجود على الخريطة . . وإنما المعارك هى التى جعلت هذا الاسم فى ألوف الكتب .

ولم تكن العلمين نفسها هى سبب الخلود ، وإنما العقبات التى فى جنوب العلمين . . فعندما أراد ثعلب الصحراء ارفين روميل أن يطوق الحلفاء وجد أن على بعد خمسين كيلومترا جنوبى العلمين يوجد منخفض القطارة الذى يهبط عن سطح البحر ١٣٣ مترا . . وهذا الانخفاض تملؤه رمال ناعمة! هى مصيدة للدبابات والإنسان أيضا . . ولذلك توقف القتال عندها .

وكان الحلفاء قد استعدوا تماما للقاء روميل بقوات أكبر عددا وعتادا من قواته البحرية والجوية . . وكان روميل قد سحق قوات الحلفاء ودفعها إلى الوراء فى طريقه إلى القاهرة وقناة السويس . . وصفقت الدنيا لبراعة القائد الألمانى ثعلب الصحراء . . حتى أن قوات الحلفاء كانت تحتفظ بصورته . . وكان يسعدهم أن ينهزموا أمامه . . وأن ينتصر هو عليهم . . وقد ذكر أحد المحاربين القدماء فى الاحتفال الذى أقيم فى الشهر الماضى عند العلمين : أنهم كانوا مبهورين بالقائد الألمانى . .

ولذلك صدر منشور شديد اللهجة يمنعهم أن يذكروا اسم القائد الألمانى . . وأن السجن عقوبة كل من يذكره!

وقد توهم الجنود فى معركة العلمين التى استغرقت ١٢ يوما أنهم رأوا روميل بين صفوفهم وأنه هرب . . وقالوا : إنه نزل بدبابة من الجو وراء خطوطهم - وكلها خرافات عن عظمة هذا القائد وبراعته الخارقة فى إدارة المعارك وفى أن يكون فى الصف الأول بين الجنود الألمان دائما!

والذى لم يكن يعرفه الحلفاء فى ذلك الوقت أن روميل كان فى المستشفى فى ألمانيا .

وأن نائبه الجنرال اشتومه هو الذى كان يدير المعارك البرية . . ولكن عندما توفى الجنرال اشتومه بأزمة قلبية عاد روميل مريضا إلى الجبهة . . وفى الجبهة وبسرعة قرر أن يقوم بأروع انسحاب فى التاريخ ، رغم أوامر هتلر بأن يصمد يوما أو يومين . . فأنقذ الفيلق الأفريقى الألمانى كله . . وترك الجبهة للقوات الإيطالية و٣٥ دبابة فقط!

وكانت ألمانيا هى المسئولة هذا العام عن إقامة الاحتفالات فى العلمين . . وقد تعمد المستشار الألمانى كول ألا يحضر ، فقد كان يرافق ملكة بريطانيا فى رحلتها التى اتسمت بالجليطة وقلة الذوق . . فقد زارت مدينة درسدن التى حطمها الطيران البريطانى!

وقد تظاهر الألمان ضدها وألقوا البيض والطماطم فى طريقها . . فقد انطبق عليها المثل الشعبى الذى يقول : يقتل القتيل ويمشى فى جنازته ، وقد تعمد زوجها الأمير فيليب أن يقرأ الصلوات

باللغـة الألمانيـة . . لكـى يذكـر الشـعب الألمانـى بأن الأسـرة المالكة البـريطانيـة جـاءت مـن مـدينة هـانوفـر الألمانيـة فى القـرن السـابع عشر . . أى أن الأسرة البريطانية ألمانية الأصل!

واكتفت ألمانيا بأن أرسلت وزير البحث العلمى ليضع أكليلا من الزهور على قبـر الجندى المجـهول . . وفى نفس الوقت تقـدم رئيسـا وزراء بريطانيا وفرنسا بوضع إكليل واحد تحية لضحايا البلدين .

لقد مات من مات وعادت الخلافات ونذر الكراهية من جديد إلى أوروبا . . فالكل يحـقد على الدولة العظمى التى بدأت تتعالى بعلمها وفنها وإبداعها وأنيابها اللامعة من جديد : ألمانيا الموحدة!

ثرثرة الناس!

يحدث كثيرا أن أفقد شهيتى تماما فلا أريد أن أتكلم . . أريد أن أسكت . . فلا يحدثنى أحد .

ولكنى لاحظت أن الناس يتكلمون كثيرا جدا . . سواء كنت تسمع أو كنت لا تسمع . . الواحد منهم يتكلم ولا يستطيع أن يتوقف وكلما لاحظ أنك «سرحان» هز كتفك قائلا :

ألست معى؟

فترد أو لا ترد وهو ماض فى كلامه . . دون أن يتنبه إلى أنك رافض أن تكون معه . . وأن تتابعه فلا هو ولا الذى يقوله مما يعنيك . . تماما كما أنك لا تريد أن تعمل أو تأكل أو تخرج أو تكتب أو تقرأ . . أو تكون مع أحد من الناس!

وأمس جلست إلى أحد الأصدقاء وسألنى : مالك؟

قلت : لا شىء . . فقط لا أريد أن أفتح فمى .

قال : إذن افتح لى أذنك ، وأنا لن أسد فمى لحظة واحدة فعندى ما أقوله لك .

وتكلم ساعة وساعتين . . ثم سألنى : ما رأيك؟

قلت : ولكنى قلت لك .

قال : أنت قلت أنك لن تفتح فمك .

قلت : آسف . . فأنا أفتح فمى وأذنى معا .

قال : يعنى لم تتابع ما قلت؟

قلت : فعلا!

قال : لهذه الدرجة كان كلامى تافها .

قلت : لهذه الدرجة كنت عاجزا عن المتابعة .

وهذا يحدث لى كثيرا . . فى أى وقت . . إنها ساعات من التقوقع .

ولم أقنعه رغم محاولتى ذلك . . ولم يبادلنى الاحترام . . أى أنا أحترم رغبته فى الكلام وهو لم يحترم رغبتى فى الصمت .

وكان الشاعر الألمانى جيته يقول عن صديقه الشاعر شيلر : نحن متفقان فى كل شىء . . دون أن نبذل جهدا كبيرا فى ذلك .

وكانا يسيران ساعات جنبا إلى جنب ولا ينطقان بكلمة واحدة .

وكثيرا ما قال أحدهما للآخر فى نهاية كل مشوار : هه . . أنا من رأيى فى الموضوع الفلانى .

ويرد عليه الآخر : فعلا .

والمعنى أنهما اتفقا على أن هذا الموضوع الفلانى يجب ألا يناقشه أحد منهما!

التليفزيون ضـــــار!

أصبح من المؤكد - علميا- أن الجلوس طويلا أمام التليفزيون ضار جدا صحيا . . والأفضل أن يكون ذلك بعض الوقت أمام التليفزيون وعلى مسافة أمتار .

فالمجلة الطبية الأمريكية تقول : إن التليفزيون مسئول عن ضعف النظر عند الصغار والكبار ومسئول أيضا عن الصداع النصفى وعن الإمساك وعن الحموضة وتقلصات المعدة والأمعاء .

أما السبب فهو : أن التليفزيون ببرامجه الجذابة المسلية يجعل الجالس أمامه متخشبا فى موقعه . . يأكل ويشرب وينام جالسا .

أما من الناحية الثقافية فإن التليفزيون يشغل الناس عن القراءة أو عن التفكير . . أو أنه يعودهم على الاستسلام لما يجىء به . . وهكذا يعتادون على المعلومات السريعة الخاطفة . . ولكن أخطر من كل ذلك أن هذا الجهاز الإلكترونى الكهربائى المغناطيسى له أثر مدمر على تركيب الخلايا فى الجسم الإنسانى أو على نشاط الخلايا .

أو أنه يتدخل مباشرة فى إحداث اضطراب فى مغناطيسية الخلايا .

والأطباء الذين التفتوا إلى هذه الظاهرة الحديثة الخطيرة ، يرون أنها اضطراب فى مجال المغناطيس .

وأن الصحة تصحيح للمجال المغناطيسى .

وأن يكون هذا التصحيح من داخلنا بالابتعاد عن المجالات المغناطيسية الأخرى أو الابتعاد عن الظروف والعادات التى تربك النشاط الخلوى - أى فى داخل ملايين الخلايا .

أو باستخدام المغناطيس الأقوى لتصحيح الاضطرابات التى حدثت فى مكان ما من جسم الإنسان .

أى فى كتفه أو ذراعه أو أصابعه أو فى عضلات العمود الفقرى أو عضلات العين أو فى ذراعه وساقه اليمنى إن كان يكتب بيده اليسرى ، أو ذراعه وساقه اليسرى إن كان يكتب باليمنى .

وفى ألمانيا جربوا وضع الإنسان فى مجال مغناطيسى قوى جدا ، وقد أدى ذلك إلى توحيد المجالات فى الجسم الإنسانى . . ثم أبعدوا الإنسان عن ذلك المجال القوى فما كان من الجسم الإنسانى إلا أن استعاد معدلاته العادية . . ويكون هذا التعديل تلقائيا .

وليس التدليك باليد أو الرياضة والابتعاد عن ضوضاء المدينة ومؤثراتها الكهربية والإلكترونية إلا نوعا من العلاج - لأننا نعطى الجسم فرصة لأن يسترد صحته من تلقاء نفسه .

الحضارة تبدأ بوقفة قصيرة!

الفرق بين الإنسان والحيوان عندما يأكل أن الإنسان يتوقف لحظة ليرى ما الذى سوف يأكله أو يشربه . . أو إن كان من حقه أن يمد يده . . وإن مدها فعلى أى شكل . . والحيوان ينقض ويخطف وبعض الطيور تبلع المسامير . . وبعض الحيوانات تأكل النار . . والقطة تأكل أولادها .

ولذلك فالإنسان المتحضر هو الذى يحاول أن يجعل للأكل لونا وشكلا . . أو يجعل طعامه فى «جو» . . فلو ذهبت إلى بيت أفقر الناس فى الريف لوجدت شيئا من ذلك . . إنه يكنس لك الأرض ويرش عليها الماء . .

ويفتح الباب والنافذة ليجعل الجو نظيفا صحيا . . ثم يقدم لك الطعام فى أحسن الحلل أو الأطباق التى احتفظ بها لمثل هذه المناسبة .

إذن ليس الأكل هو الذى يقدمه لك ، وإنما هو «جو» الأكل والشراب ، وهذا الجو هو الذى يدعوك لأن تتوقف لحظة لترى الذوق والحفاوة بك والكرم والطعام الذى له رائحة شهية .

وكثيرا ما توقفنا فى الطريق بين العواصم الأوروبية عند أى بيت صغير . . وندق الباب ونطلب كوب ماء وينفتح الباب وتتقدم لك سيدة عجوز بمنضدة لطيفة عليها مفرش جميل وفوقها زهرية بها ورد وتجد نفسك مدعوا فى جو جميل . . ولا يسعك إلا أن تتأمل ما تراه قبل أن تلمسه .

بل إنك تشعر فجأة بأنه لا أهمية كبرى لما سوف تشربه . . والجو كله يدعوك إلى أن تتذوق على مهل كل ما ترى وما تشم وما تلمس وما سوف تشرب ، وأول تعليق لك على هذا كله هو : أن الورد جزء من حياة هؤلاء الناس .

أى من حياتهم وليس من حياتنا نحن . وأنهم لا يأكلون ويشربون مثلنا . إنهم يتوقفون بعض الوقت قبل أن يأكلوا .

إنهم ينتظرون بعض الوقت قبل أن يروا الطعام . . إنهم لا يملأون أفواههم بالطعام إنهم يمضغون كل ما فى الأطباق والأكواب . . إنهم يتوقفون قليلا قبل التغلب على الجوع والعطش .

هذا التوقف هو أولى خطوات الحضارة ، وهو الفرق الأساسى بين الإنسان والحيوان ، أو بين الإنسان والإنسان المتحضر .

وهذا ما يجب أن نتعلمه جميعا .

ولا تزال صور الأوروبيين فى كل مكان شيئا يبعث على الدهشة . . فمن المألوف فى أوروبا ، أو عند الأوروبيين المقيمين بيننا ، أن نجد الورد فى النوافذ . . كأن الموجود فى الشوارع لا يكفى ، كأن الحدائق كلها لم تملأ عيونهم وأنوفهم بدرجة كافية .

ولكن العين يجب أن تتحرك وتتمرغ وتستحم فى الجمال . . بسرعة مائة وردة كل ثانية .

وإذا نحن نظرنا إلى طفل صغير مد يده إلى وردة وقطفها ثم راح ينثر أوراقها على الأرض أو وضعها فى فمه ، فهذا بالضبط هو المعنى الكريه الذى يجب أن نقضى عليه . . يجب أن يتعلم الطفل أن يتفرج أن يتمتع أن يتوقف قبل أن يصبح وحشا آدميا عندما يكبر!

إنه ثقب أسود!

كل شيء في الكون يتحرك . . ويدور حول نفسه ويدور حول شيء آخر . . والقمر يدور حول الأرض والأرض تدور حول نفسها وحول الشمس . . وكذلك كل الكواكب الثمانية الأخرى ومالانهاية له من المذنبات والنيازك والشهب والغبار الغازى والثلجى . . ثم إن المجموعة الشمسية هذه بما فيها من كواكب تسعة و ٦١ قمرا تدور حول المجرة -أو الطريق اللبنى أو درب التبانة . . وهى مجموعة من النجوم يبلغ عددها ألف مليون نجم . . وهذه المجموعة ليست إلا واحدة من ألف مليون مليون مجموعة أخرى فى هذا الكون . . ونحن -أى سكان الأرض- كما ترى لسنا إلا ذرة رمل لا قيمة لها ولا أهمية على شاطىء محيط هذا الكون . . يكفى أن أقول لك إن فى الشمس فتحات صغيرة تتسع لألف كرة أرضية كالتى نعيش عليها . .

والكون مثل الكائنات الحية يولد ويموت . . ففى الكون حضانات فلكية وفيه مقابر فلكية أيضا . . فهناك نجوم تموت ونجوم تولد . . بل هناك مجرات تولد ومجرات تعانى سكرات الموت . . و٨٠٪ من مادة الكون سوداء مظلمة . . وهذه الكتل السوداء المظلمة هى نجوم ماتت . . ولكن هذه النجوم ليست سكونا وخمودا . . وإنما هى موت متوحش . . أى أنها تموت وفى نفس الوقت تتربص بالأكوان الأخرى . .

وهذه الأجسام السوداء أو المظلمة هى التى أطلقوا عليها اسم «الثقوب السوداء» . . هى ليست ثقوبا . . وإنما تبدو فى هذا الثوب الأبيض اللامع فوقنا كأنها ثقوب سوداء . . والحقيقة أنها نجوم ماتت . . وراحت هذه النجوم تنكمش وتتقلص وتتكثف حتى صارت متناهية الكثافة والجاذبية . . لدرجة أن الضوء لا يخرج منها وإنما تمسكه الجاذبية . . ثم إن هذه الجاذبية الهائلة تسحب النجوم إليها إلى أعماقها فتبتلعها . . تبلغ ألوف ملايين النجوم . . وتتحول هذه النجوم إلى أجزاء صغيرة جدا متناهية الكثافة لدرجة أن كتلة سوداء فى حجم البرتقالة لو اصطدمت بالأرض لمزقتها ملايين القطع . . بل لدخلت الأرض ونفذت من الناحية الأخرى . . لأن هذه الكتلة إذا كانت فى حجم البرتقالة فإنها تزن ألوف ملايين ملايين الأطنان مضافا إليها سرعة هبوطها واصطدامها . . ولذلك فالعلماء لا يستبعدون أن يحدث يوما ما لسبب ما أن يسقط ثقب أسود على الأرض أو يخترق الأرض ، وتكون هذه هى نهاية الأرض .

وقد حدث فى سنة ١٩٠٨ أن اشتعلت النيران فى غابات سيبريا وذاب الجليد وماتت الحيوانات ولم يعرف أحد سبب ذلك وقالوا : شهاب ضخم ، وقالوا : نيزك ، وقالوا : مذنب ، وقالوا : إحدى النجميات التى قطرها حوالى نصف كيلومتر ، وقالوا : سفينة فضاء جبارة جاءت من حيث لا ندرى واحترقت فى الغلاف الجوى للأرض ؛ لأن العلماء لم يجدوا لها أثرا فى سطح الأرض كما يحدث عندما يسقط جسم فلكى فيترك تجويفا أو أخدودا أو بعض الفوالق . .

ولكن أحدث التفسيرات التى اهتدى إليها العلماء هو أن ثقبا أسود قد ضل طريقه فى الفضاء الخارجى . وكان طول هذا الثقب واحدا على ألف من المليمتر . . أما وزنه فملايين الأطنان وهذا يكفى لأن يشعل النار فى أى مكان يرتطم به!!

ويرى علماء الفلك أيضا . . أنه من الممكن أن تنتهى الأرض وما عليها إذا خرج أحد الكواكب فى المجموعة الشمسية عن مداره وتطوح فى الفضاء مرتطما بالأرض . . ولن يحدث ذلك إلا إذا كانت هناك قوة أكبر أو جسم أكبر قد جرجروه خارج مداره . . فانطلق ضالا فى الفضاء . . وارتطم بالأرض!

الإنسان الأول : إفريقى

نحن نعلم أن أرضنا هذه قد تعرضت لعصور جليدية متعددة ، ففى المليون سنة الماضية تعرضت الأرض لأربعة عصور جليدية . . وبعد العصر الجليدى تعتدل درجة الحرارة وتستأنف الحياة تنوعها وازدهارها . . وبين كل عصر جليدى والعصر الذى يليه تزخر الأرض بالحياة فترة حوالى عشرين ألف سنة . .

ونحن الآن على مدى عصر جليدى ذهب من ١٥ ألف سنة . . ولم يبق أمامنا إلا خمسة آلاف سنة . . وبعدها يجىء عصر جليدى آخر . .

ولكن الحياة على الأرض استطاعت أن تقاوم وأن تتنوع وأن تكتسب قدرات متجددة على المقاومة والاستمرار والتغلب على كل صعاب الأرض والماء والهواء . . وهذا هو معنى بقاء كل أشكال الحياة حتى الآن . . ولكن لماذا هذا العصر الجليدى؟ نحن لا نعرف .

ومن المعروف علميا أن الأرض قد انخفضت حرارتها درجة واحدة منذ الحرب العالمية الثانية .

وإذا جاء العصر الجليدى الجديد فسوف يجد على أرضنا ثمانية آلاف مليون نسمة تعيش على أرض أكثر ضيقا . فقد نقصت

مساحة الأرض المزروعة إلى الثلث . . وفى نفس الوقت قد نجح الإنسان فى أن يجعل الحياة أكثر صعوبة . وأكثر سموما . . وكلما تقدمت وسائل الحياة ، تأخرت وسائل احتمالها . . فالإنسان يتطور وفى نفس الوقت تتطور فى يديه كل وسائل الموت . . فبعد أن كان يقتل بسكاكين من الحجارة أصبح يقتل بالمواد الكيماوية التى يأخذها دواء ، أو التى يقتل بها الآفات الزراعية أو التى يضعها فى القنابل .

وقد تخيل الكاتب الألمانى أرنولد بوركارث أن العصر الجليدى سوف يجىء مرة واحدة . ولن يستطيع مقاومة العصر الجليدى إلا أبناء الدول الشمالية الذين اعتادوا على البرودة . أما أبناء المناطق الحارة فهم أوائل الضحايا ، وسوف ينقرض أبناء الشمال قرنا بعد قرن حتى لا يبقى منهم إلا الذين هاجروا إلى قمم الجبال الإفريقية . . وعندما ينحسر العصر الجليدى ، سوف يزحف هؤلاء الباقون إلى الشمال والجنوب مرة أخرى .

فكما أن الإنسان الأول -كما يقول- قد ظهر فى أفريقيا . . فى تنزانيا فسوف يكون الإنسان الجديد بعد عصر الجليد قادما من أواسط أفريقيا مرة أخرى . ولن يكون أسود هذه المرة وإنما سوف يكون أبيض ويزداد بياضا بعد ذلك! وإذا كان نوح عليه السلام -كما يقال- هو «آدم الثانى» - أى بعد أن أغرق الطوفان كل البشرية ولم يبق منها إلا نوح وأولاده ، وأن سفينة نوح قد استقرت على جبل أرارات فى أرمينيا ، ولايزال البحث جاريا عن هذه السفينة . . فإن آدم الثالث سوف يكون هنا . . أو يبدأ من هنا . .

من عند خط الاستواء . . وإذا كان أولاد نوح عليه السلام هم : سام أبو الصفر . . وحام أبو السود ، ويافث أبو البيض ، فإن أولاد نوح الجدد لن يكون لهم إلا لون واحد . . أبيض بدرجات مختلفة . .

وبعد ذلك يزحف أولاد آدم الثالث إلى أرجاء الأرض . . أو إلى القارات الخمس . . ولن تكون خمس قارات وإنما عشر أو عشرين قارة لأن الجليد سوف يؤدى إلى نسف الأرض . . ويؤدى ذوبانه إلى تصدع الأرض بالزلازل والبراكين .

متى يحدث ذلك؟

علم ذلك عند ربى .

النجوم تولد وتموت !

(١)

طبعا عندك فكرة عن «الصوبا» أى ذلك البيت الزجاجى الذى نضع تحته بعض النباتات لكى تنمو فى درجة حرارة أدفأ . هذه الصوبا هى بالضبط الكرة الأرضية تماما .

كيف؟ أنا أقول لك . . فنحن منذ سنة ١٩٥٠ قد ضاعفنا استهلاكنا للفحم والغاز الذى نستخدمه فى إدارة محركات السيارات والطيارات والمصانع . وأدت هذه الزيادة إلى ارتفاع نسبة ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الجو -وهو غاز سام- ولكن خطورته ليست فى ذلك فقط ، وإنما هذا الغاز الذى يلتف حول الأرض مثل غلالة كثيفة له خاصية . . هذه الخاصية أنه يسمح بدخول أشعة الشمس . ولا يسمح بخروج حرارة الأرض ، أى هو من ناحية يسمح للأشعة ولا يسمح للحرارة أن تنعكس من الأرض إلى الفضاء الخارجى . . فترتفع درجة حرارة الأرض ، وإذا نحن مضينا فى مضاعفة استهلاك الوقود ، فإن غاز ثانى أكسيد الكربون سوف يزداد كثافة . . وسوف يؤدى ذلك إلى ارتفاع درجة حرارة جو الأرض إلى أربع درجات فى سنة ٢٠٣٠ .

فما معنى ذلك؟ معناه أننا لو مضينا فى رفع درجة حرارة الأرض بصفة مستمرة فإن ذلك سيؤدى إلى ذوبان الجليد عند القطبين والجليد فى جزيرة جرينلاند فى شمال أوروبا . فإذا ذاب هذا الجليد كله ارتفعت مياه المحيطات ثلاثين أو أربعين مترا . . فتغرق كل الشواطىء المنخفضة فى أمريكا وبريطانيا وهولندا وألمانيا وتغرق دلتا مصر ووديان آسيا كلها وتغرق كل الجزر فى المحيط الهادى عشرات الألوف من الجزر . . وتغرق الفلبين وأندونيسيا .

وأول من استعان بالأمم المتحدة أن تفعل شيئا هو الرئيس عبد القيوم رئيس جزر المالديف . . كما أعلن العالم المصرى د . مصطفى طلبة المسئول عن البيئة فى الأمم المتحدة ، أن مصر من أوائل الدول التى ستكون تحت سطح الماء بعشرين مترا - ثم عاد ورجع فى كلامه ليقول : ليس بالضبط!

أى أن الماء الذى سوف يغطى مصر لن يكون ثلاثين مترا . . ربما خمسة أمتار فقط؟!

طبعا فسوف تختفى المحاصيل الزراعية . . وتموت كل النباتات وتتحول الأرض إلى صحارى جافة . وإذا أردت أن تعرف صورة واضحة لما سوف يحدث ، انظر إلى الصومال . . بالضبط سوف يكون حال أرضنا هكذا : جفاف وجوع ومرض وضياع . . قال -تعالى- : «وجعلنا من الماء كل شىء حى» . . فإذا كان لا ماء فلا حياة لنبات أو حيوان أو إنسان . .

فإذا لم نتدارك تصاعد الكميات الهائلة من الغازات السامة والتى تحتفظ بحرارة الأرض فالموت مؤكد . بل إننا أمام أنواع

مختلفة من الموت . . فالسحب الحامضية التى تدفعها الرياح من أوروبا الوسطى إلى الدول الإسكندنافية تسقط مطرا قاتلا لكل أنواع الحياة النباتية . . وتنتقل عبر الأطلنطى إلى كندا . .

ثم إن إسرافنا فى استخدام غاز «ك .ف .ك» أى كلورو-فلورو-كاربون يتصاعد فى الجو ويصل إلى طبقة الأوزون ويخترقها ، وطبقة الأوزون هى الغلالة الواقية للأرض من أشعة الموت التى تنقض علينا من الفضاء الخارجى . . وطبقة الأوزون ليست طبقة كثيفة ولكنها طبقة مخلخلة ارتفاعها ما بين ١٥ و٢٠ كيلومترا . . وهذه الطبقة المهلهلة هى التى تمتص أشعة الموت فوق البنفسجية ، ولما لم تستطع منع أشعة الموت ، فإنها أصابت الكثير من الحيوانات البحرية فى القطب الجنوبى بالسرطان . . وكذلك أصابت مئات الألوف فى أستراليا بسرطان الجلد . . هذا الغاز «ك .ف .ك» نحن نستخدمه فى الثلاجات وفى زجاجات الكولونيا!

(٢)

ليس من المحتمل أن يصطدم كوكب بآخر . . الأرض وزحل مثلا ، الاحتمال واحد فى الألف مليون ، ونحن نعلم أن كل ما فى الكون يتحرك ويدور حول نفسه وحول غيره منذ أكثر من ١٥ ألف مليون سنة .

ولكن الفلكى الكبير إيمانويل فيلكوفسلى يقول : يجوز . .

متى؟ إذا ما جاءت قوة فلكية -أى جسم فلكى كبير- واقترب من أحد كواكب المجموعة الشمسية وجذبه وأخرجه عن مداره . . فإذا حدث فإن هذا الكوكب الخارج عن مداره سوف يضطرب . . يرتبك . . يختل . . يفقد توازنه . . يضل طريقه . . وقد يصطدم بكوكب الأرض ، هل هذا ممكن؟ الجواب : نعم ممكن .

أو أن أحد الأجسام التى هى بألوف ملايين الملايين والتى تدور حول الشمس . . أو التى هى فى مدارات حول كوكبى المريخ والمشترى تفلت من دوخة الدوران فى مداراتها الأبدية لسبب من الأسباب . . وتظل تتطوح حتى ترتطم بالأرض . . وقد تكون هذه الأجسام نيازك أو شهبا أو تكون مذنبا لها ذيولها الطويلة من الغازات السامة والتراب والجليد . . وحول الشمس وحدها يدور حوالى ألف مليون مذنبة ، وعلى الرغم من أن احتمال ارتطام المذنبات بالأرض ليس إلا واحدا فى الأربعين مليون فإن رؤوس المذنبات قد ارتطمت بالأرض خمسين مرة على الأقل فى عمر الأرض الذى يبلغ أربعة ملايين سنة .

ويقال : إن الذى حدث فى سيبريا سنة ١٩٠٨ كان اصطدام أحد المذنبات . . يومها اشتعلت الغابات وذاب الجليد وظلت سماء أوروبا مضاءة ليلا ونهارا ، وكان للعلماء تفسيرات أخرى .

وقد حدث أن دخل كوكب الأرض فى ذيل المذنب هالى سنة ١٩١٠ . . ولم يكن هذا الذيل كثيفا أو خطرا . . ولذلك لم يصب الأرض وسكانها وأشكال الحياة عليها بأى ضرر . . وإذا مات المذنب فإنه يتحول إلى حطام من التراب طوله ملايين الكيلومترات ويكون ذيل المذنب هذا من التراب والحجارة والغازات والجليد ، فإذا دخل جو الأرض فإننا نراه يلمع مضيئا ، وهذا ما يسميه أهل الريف عندنا : النجمة أم ذيل .

وهذا يحدث كثيرا لجو الأرض وسطحها . . فقد حدث كثيرا جدا أن ارتطمت هذه الأجسام ، ومن المعروف أن الشهب تسقط على الأرض ٥٠٠ مرة فى السنة ، وأكبر هذه الشهب هو الذى ارتطم أخيرا بناميبيا وكان وزنه ٦٦طنا ، ولو ارتطم هذا الشهاب بنيويورك لقضى على جزيرة مانهاتن وعلى الملايين فى لحظة واحدة!

أما الكويكبات فإنها أكبر من ناحية الحجم والوزن والكثافة وتكون من الحجارة والمعادن وهى أكثر خطورة من الرؤوس الجليدية للمذنبات . . إن هذه الكويكبات تكاد تكون كواكب صغيرة . . أو ضئيلة . . وأكثرها يدور فى حزام هائل حول المريخ والمشترى .

وأحد هذه الكويكبات واسمه (هرمس) اقترب نصف مليون كيلو متر من الأرض فى نوفمبر سنة ١٩٣٧ وكان قطره حوالى

نصف كيلو متر . . ولو ارتطم هذا الجسم بأية مدينة مثل القاهرة لأبادها تماما .

متى تحدث هذه الكارثة؟

أما بالنسبة للشهب ، فهذا يحدث كل يوم . . وأما بالنسبة لهذه الكويكبات فتحدث مرة كل ألف سنة .

ولكن إذا استطعنا أن نواجه هذا الكوكب بإطلاق قنابل نووية عليه قبل دخوله جو الأرض فإننا سوف نحوله إلى ذرات من التراب المشع فإذا هبط إلى جو الأرض فإننا نكون قد أحطنا أنفسنا بغلالة سامة . . تلتف حولنا بنعومة ولمعان وتكون هذه هى النهاية!

(٣)

هذا الكون الذى حولنا يتربص بعضه ببعض . . نجوم تولد . . ونجوم تموت والتى تموت سوف تبقى بها قوة خارقة لابتلاع النجوم التى لم تمت .

وهناك نظرية تقول : إن الكون يتسع . . يتمدد . . يتراجع . . وإن هذا التراجع ليس إلى غير نهاية . أى لابد أن يقف ، والوقوف لا يكون إلا إذا ضعفت الجاذبية . . أو الجاذبية المتبادلة بين المجرات بعضها وبعض .

ويقال : إن الكون يتمدد من ناحية ، ويتقلص من ناحية ينكمش وينكمش ويعود الكون كما بدأ . كرة صغيرة بين أصابع الله . . ثم تنفجر بالحياة بعد ذلك . . فى ألوف ملايين السنين .

فإذا ولد نجم وكان النجم قريبا منا . . أى بحوالى بضعة ألوف من ملايين الكيلومترات . . أو إذا انفجر نجم من داخله لسبب لا نعرفه . . وتوهج وتوهج . . فإن أشعته تصل إلى الأرض مميتة لكل الحياة عليها . . ويقال : إن هذا ما حدث عندما انقرضت الديناصورات على سطح الأرض . وكان السبب أن نجما قد توهج وتوهج حتى بعث إلى الأرض فيضانا من الموت الإشعاعى . .

ويقول العلماء : إن هذا يحدث مرة واحدة كل ١٥٠ ألف سنة .

ولو كان هذا النجم بعيدا عن الأرض بحوالى ثلاثين سنة ضوئية «السنة الضوئية طولها ١٠ وأمامها ١٢ صفرا من الكيلومترات» فإن الضوء المنبعث من هذا النجم سوف يقضى على

الكرة الأرضة تماما . . وكل الكواكب الأخرى فى مجموعتنا الشمسية وفى مجموعات شمسية أخرى . هل هذا ممكن؟ ممكن جدا . .

أو إذا انفجرت إحدى المجرات «المجرة الواحدة بها ألف مليون نجمة مثل الشمس وبها أضعاف هذا العدد من الكواكب مثل الأرض» فإذا حدث ذلك فالحياة على هذه الأرض وكل أرض مثلها قد انتهت تماما . والسبب هو الفيض الجبار لأشعة الموت . . ومن الممكن أن تبتلع «الثقوب السوداء» هذه المجرة التى أحرقت نفسها . . فتسحبها الجاذبية الهائلة للثقوب السوداء وتبتلعها وتتلاشى فى داخلها كثيفة مظلمة هائلة كما يبتلع حوت إحدى القواقع الصغيرة . .

أما متى يحدث ذلك الانفجار الذاتى لهذه المجرة؟

يقول العلماء : إن هذا لا يحدث إلا مرة واحدة كل مليون سنة . .

ونحن لا نعرف إن كانت هذه المليون سنة قد قاربت نهايتها أو أننا فى أوائل مليون سنة أخرى . . ولكن الاحتمال قائم . والمفاجأة الفلكية قائمة أيضا . وكل شىء جائز . لماذا؟ لأن هناك نظرية فلكية تقول : إنه لا يوجد شىء مؤكد أو يقينى فى هذا الكون . فليس منطق الإنسان هو الذى يحكم الكون وإنما هو الذى يحكم أفكار وأفعال وأوهام الإنسان نفسه .

ثم هناك احتمال واحد ممكن وهو أن أكاليل النار والإشعاع الهائل الذى يخرج من الشمس من الممكن أن يزيد وأن يمتد بضعة ملايين من الكيلومترات والدرجات . . فيقضى على حياتنا وعلى الأرض .

(٤)

الله خلق العـالم . . وكلمــة واحــدة من الله : كن فكان هذا الكون!

بعد أن انفجرت الكرة فى كل الاتجاهات وتباعدت المادة بسرعة أكبـر من سـرعـة الضـوء وفى حـرارة تصل إلى مـئـات الملايين . . وتطوحت المادة كـتلا لا يمكن وصفـها . . وتمزقت وتقطعت وتحولت إلى كتل وإلى غازات وإلى تراب وإلى جليد . . وتماسكت وتكتلت وتكورت وتدورت . . ثم دارت حـول نفـسـهـا وحـول بعـضـهـا البعض . . فالجاذبية هى الخيوط الخفيفة التى تمسك الكون من أوله لآخره . . ثم هناك جاذبية متبادلة . . هذا يجذب هذا وهذا يتعلق بذاك والتوازن الكونى قـائم على الجـاذبيـة وعلى الضـوء . . والكون لا يزال يتمـدد . . ويتـراجع إلى الوراء - طبـعـا - كلها كلمات من صنع الإنسـان لكى يسـتطيع أن يتـصـور ماذا حـدث . . ونحن لا نعرف للكون وراء أو أماما أو فوقا أو تحتا . . ولكن هذه ألفاظنا لكى تدخل المعانى والخيالات عقولنا وننقلها إلى بعضنا البعض . .

وهناك نظرية تقول : كما أن الانفجار والتمزق كان دويا جبارا . . فإن هناك نقصا وانكماشا جبارا أيضا . . فالمادة تتداخل بعضها فى بعض . . وتزداد كـثـافـة وجـاذبيـة . . فـالكون الذى تمدد ، يعـود ويتقلص فى ألوف ملايين السنين . . ليعود تماما كما بدأ .

وفى نفس الوقت يقول العلماء : إن الثقوب السوداء -أى النجوم التى مـاتت وتساقطت على نفسها وتكدست وتكثفت ـ تبتلع كل

ما حولها متألقة «حية» هذه الثقوب السوداء تتحول من ناحية أخرى إلى ثقوب بيضاء ـ أى إلى ميلاد جديد للنجوم التى ماتت ـ ليتسع ويتمدد الكون مرة أخرى . . فلا شىء يتوقف فى الكون . . إنما كل شىء يولد ويتوالد ويموت ويتربص ويتخلق من جديد . . وإلى مالانهاية!

ولكن جميع الأجسام السماوية تمسك بعضها البعض بالجاذبية فإذا ضعفت جاذبية الشمس للأرض ، فإن أرضنا سوف تخرج عن مدارها . . وتتطوح فى الفضاء البارد إلى موتها وموتنا .

واضح لنا جميعا أننا نتحدث عن شىء مهم جدا هو أرضنا وحياتنا ، الأرض مهمة لنا كما أن حياتنا هى أهم ما لدينا ، ولكن ليس هذا وضعنا فى الكون ، إن وضعنا فى الكون مثل نملة تحت عمارة الموت التى أسقطها الزلزال فى مصر الجديدة . . ربما كانت هذه النملة شاعرا أو مطربا أو شيخ قبيلة ، وحياتها مهمة لها ولقبيلتها ولدورها الحضارى فى عالم النمل والصراصير مثلا . . ولكن ما معناها بالنسبة للعمارة والقوة التى أسقطتها والأرض التى عليها والكون الذى حولها؟ ولا أى حاجة! ولكن الإنسان حيوان عاقل ذكى مغامر عنده طموح . . والإنسان وسط بين الذرة وبين المجرة . وهو ضعيف سهل الكسر وسهل القتل . . ولكنه أعظم ما فى دنياه وفى أرضه وإن لم يكن هذا رأى الكون من حولنا!

(٥)

مـاذا يحـدث إذا انطفـأت الشـمس ، لابد أن تنطفئ الشـمس ولا بد أن تموت المجموعة الشمسية كلها فى لحظة واحدة .

والشمس فرن تحول فيه المادة إلى طاقة فى نفس اللحظة ، وأول من تنبه إلى أن الشمس هى الجسم المشتعل الوحيد الذى نعرفه والذى تحولت فيه المادة إلى طاقة هو د . على مصطفى مشرفة . . وهو أستاذ أساتذة الفيزياء الفلكية . وقد أشار إلى نظريته هذا العالم الفلكى الفيزيائى البريطانى جيمس جينز فى كتابه « الكون الغامض» الذى ترجمه فى عبارة جميلة عالم كبير آخر هو د . أحمد زكى الذى توفى رئيسا لتحرير مجلة «العربى» الكويتية . أما العالم الفيزيائى الكبير أينشتين فقد تنبأ فى نظرية النسبية التى اهتدى إليها سنة ١٩٠٥ ، أن الطاقة المتدفقة من الشمس لها معادلة هى : الطاقة= الكتلة × مربع سرعة الضوء . . وأن هذه المعادلة هى التى جعلت أينشتين يتصل بالرئيس الأمريكى روزفلت سنة ١٩٣٩ ويقول له : إنه من الممكن اختراع قنبلة ذرية تتحول فيها كتلة اليورانيوم إلى طاقة ذرية ، وقد كان وانفجرت أول قنبلة ذرية فوق اليابان لتنتهى الحرب العالمية الثانية!

والشمس فى الخمسة آلاف مليون سنة الماضية تشتعل بما فيها من هيدروجين ، فالهيدروجين الذى فى الشمس هائل لدرجة أنه يكفيها ثمانية آلاف مليون سنة أخرى .

ولكن أينشتين قال : إن فى الشمس موجات جاذبية . . أو عواصف جاذبية . . هذه العواصف الجاذبية تغطى باطن الشمس.. . وتمنع حرارتها من الانطلاق إلى الفضاء الخارجى . .

إلى كوكب الأرض . . وإذا استمرت هذه العواصف الجاذبية فى قوتها ألف سنة ، فإنها سوف تؤدى إلى خفض درجة الحرارة المنبعثة من الشمس بسرعة هائلة جدا . . أسرع مليون مرة مما يتصور العلماء ، ولن تستطيع الشمس تعويض هذه الحرارة . كما أنها لا تستطيع أن تتغلب على قوى الجاذبية فى داخلها .

فكيف الحل؟

إذا عاش الإنسان على هذه الأرض دون أن يصاب بما يقضى عليه ، فإنه سوف يكون قد تطور علميا . . وأصبح قادرا على القفز من كوكب إلى كوكب . . وذلك بعد أن أقام مدننا مدارية . . أو إذا سكن القمر . . أى تحت سطح القمر . . وعاد إلى حياة الكهوف مرة أخرى ، وذلك لكى يفلت من الإشعاع الكونى ومن درجات الحرارة العالية جدا نهارا والباردة جدا ليلا . . فالإنسان على سطح القمر يتعرض للحرارة الشديدة والبرودة الشديدة فى لحظة واحدة . . فرواد الفضاء الذين نزلوا على القمر كانت البدلة التى يرتدونها حرارتها المواجهة للشمس بالمئات وحرارتها البعيدة عن الشمس بالمئات تحت الصفر . . بدلة واحدة وإنسان واحد وفى لحظة واحدة . . ولذلك فلا قدرة للإنسان على أن يعيش على سطح القمر ، وإنما تحت قشرة القمر . . فحياتنا فى القمر هى العودة إلى الكهف وعلى أعلى المستويات .

فهل يا ترى يستطيع الإنسان الذى يعرف مصير الأرض بسبب انخفاض درجة حرارة الشمس وقوتها بعد ذلك . . أن يهرب من المجموعة الشمسية هذه إلى أية مجموعة أخرى . . فيقطع مسافة ألوف ملايين ملايين الكيلومترات؟ وهل يستطيع الإنسان أن يختار له كوكبا فى منتصف المسافة يجعله مستشفى لمرضاه من سكان الأرض الهاربين إلى منظومة شمسية أخرى؟

(٦)

القمر يبتعد عن الأرض بوصتين كل سنة . . وسوف يوالى القمر ابتعاده عن الأرض . . ثم إن المد والجذر فى البحار قد أبطأ دوران الأرض مما جعل اليوم يطول من ٢١ ساعة إلى ٢٤ ساعة فى الأربعمائة مليون سنة الماضية . . وسوف يطول اليوم حتى يصبح ٣٧ ساعة . وهذا هو الحد الأقصى الذى سيبلغه اليوم على هذه الأرض . وكلما طال اليوم وأبطأت الأرض فى دورانها تغيرت الحياة ونظمها على سطح الأرض .

ولكن هذه الاضطرابات على سطح الأرض وفى داخلها سوف تسحب القمر نحونا أكثر وأكثر . . حتى تصبح المسافة بين القمر والأرض بضعة آلاف من الكيلو مترات -كما هو حادث فى أقمار الكواكب الأخرى ، فإذا حدث فقل على الأرض الدمار والخراب ، بل على القمر نفسه .

إن علماء الفلك يتوقعون للقمر أن يتفكك وأن يتحلل وأن يصبح ترابا وحجارة تدور فى حلقات حول الأرض تماما كما تدور نيازك وشهب حول الكوكب زحل . . بل إن أحجار القمر نفسها سوف تسقط على الأرض . . لقد اختلف العلماء فى أسباب اقتراب القمر من الأرض أكثر . . أو ابتعاده عن الأرض . . أو ابتعاد الأرض عن الشمس .

فكل الأجرام السماوية معلقة بعضها مع البعض فى خيوط من الجاذبية . . فإذا اقترب القمر ارتبكت الحياة تماما على الأرض . . وإذا ابتعد القمر ارتبكت الحياة على الأرض . . وإذا ابتعدت الأرض عن الشمس ماتت الحياة على الأرض . . وإذا اقتربت

الأرض من الشـمس ارتبكت الحـيـاة تماما فنحن فى حـالة من التوازن الذى اعتدنا عليه وتكيفت حياتنا وفقا له .

فى قـصص (ألف ليلة وليلة) توجـد حكاية السـفـينة التى اقـتربت مـن جزيرة المغناطيس . . فلم تكد السـفينة تقـتـرب من الجزيرة حتى هربت المسـامـيـر من بين ألواحـهـا الخشـبـيـة ، وفجـأة تحولت السفينة إلى ألواح تطفو على سطح الماء . . فقد تخلت عنها المسـامـيـر ـ قـوى الربط ـ وحـاول البـحـارة أن يتـعـلقـوا بالألواح الخشبية . . هذه هى الصورة البسيطة الساذجة لا تنفع عند ضعف الجـاذبيـة الأرضـيـة أو اشـتـدادها . . فـالأرض فى اتجـاهـهـا إلى الشمس . . تتحول إلى ذرات . . وفى ابتعادها عن الشمس تتحول إلى جليد . . إلى ذرات جليد . . وكـذلك القمر ابتعادا واقترابا . . ولا نجاة لنا فى جميع الأحوال .

لقـد عـرفنا فى الحـرب العـالميـة الثـانيـة قـوات الانتـحـار اليـابانيـة -الكاميكازى- فالواحد منهم يركب طائرة أو طوربيدا أو يجلس إلى جوار لغم . . ثم يتـجـه بطائرته إلى سـفن الأسطول الأمـريكى . . فـهـو العـقل الإلكتـرونى الذى يسـدد الطائرة أو القـذيفـة نحو الـهـدف ليـمـوت مع الانفجار ومع الهدف . . وكان الكاميكازى اليابانى يجلس إلى جوار اللغم حتى إذا مرت دبابة فإنه يفجر اللغم ليموت معه . . ولم يكن الإنسان قد اخترع العقول الإلكترونية ولا نسف القنابل والألغام عن بعد .

ولكن فى حـالة أرضنا هذه واقـتراب القـمر وابتـعاده فإننا مـثل الكاميكازى . . نموت بها وعليها فمتى تحدث هذه الكارثة!

يقول علماء الفلك : اطمئن تماما فلا أنت ولا أحفاد أحفادك سوف يدركون هذا اليوم . . أو يدرككم هذا المصير بعد ألف مليون سنة!

(٧)

كأن العلماء يريدون شيئا محددا للخوف ، فبدلا من أن يكون خوفنا قائما على نظريات رياضية واحتمالات بعيدة . . فإنهم الآن حريصون تماما على جعل هذا الخوف مؤكدا .

الخوف اسمه : سويفت تتل . . وهو جسم كبير قطره ١٣ كيلومترا . . هذا الجسم هو كوكب صغير . . وهو سوف يقترب من الأرض أو يصطدم بها بعد ١٣٤ سنة . هذه حقيقة مؤكدة .

هذا الجسم أو هذا الكوكب الصغير عبارة عن جبل من الجليد ومن التراب . ينطلق بسرعة ٣٧ ميلا فى الثانية . . وله مدار يعترض جميع مدارات الكواكب التسعة التى تدور حول الشمس .

فإذا ارتطم هذا الكوكب الصغير بالأرض فسوف يكون له أثر عشرات الألوف من القنابل الذرية . وسوف يغطى على كل مظاهر الحياة على هذا الكوكب . . هذا مؤكد .

والعلماء يرون أن مثل هذا الارتطام لابد أن يكون قد وقع من ٦٥ مليون سنة ، عندما اختفت كل الحيوانات الكبيرة من على الأرض - الديناصورات مثلا .

والعلماء يدرسون بجدية وحذر شديد مسار هذا الكوكب الصغير ، وفى نفس الوقت ليسوا على يقين من استقرار مداره لأن الذى يطرأ على سطح هذا الكوكب الصغير أو المذنب الكبير قد يؤدى إلى ارتباكه وخروجه عن مداره مقتربا من الأرض أو مبتعدا عنها .

وفى الكون حولنا مئات الملايين من الأجسام الصغيرة تدور حول الشمس وحول أكثر الكواكب ، وهناك احتمال دائم بأن تخرج عن مداراتها لأى سبب وتتطوح وتصل فى الفضاء وترتطم بالأرض ، ولكن لا يهمنا كثيرا ما يصيبها من أضرار أو تشوهات . .

هذا المذنب اسمه الفلكى «سويفت-تتل» .

أما سويفت هذا فهو العالم الفلكى الأمريكى «لويس سويفت» الذى رأى هذا المذنب بعينه المجردة يوم ١٦ يوليو سنة ١٨٦٢ أثناء الحرب الأهلية الأمريكية وبعده بثلاثة أيام رآه العالم الفلكى الأمريكى هوراس تتل . ولذلك أطلق عليه علماء الفلك سويفت-تتل . وقد استطاع هذان العالمان أن يصفا المذنب بوضوح . . وأن يعلنا دون أن يعرف أحدهما الآخر أن هذا المذنب من الممكن فى ظروف قادمة أن يرتطم بالأرض .

وعلماء الفلك أكثر الناس إسرافا فى استخدام كلمة ربما . . يجوز . . يحتمل ، لماذا؟ . . لأن هناك نظرية فيزيائية اكتشفها العالم الألمانى العظيم هيزنبرج ، هى :

مبدأ عدم اليقين . . فلا شىء مؤكدا فى هذا العالم . وإنما هناك احتمال دائم لأن تسلك الأشياء طريقا غير الذى اعتدنا عليه . . نحن لنا منطقنا والأشياء لها منطق مخالف إلى حد كبير ولذلك لا يصح القطع أو اليقين بوقوع الأشياء كما نتصورها . .

ولم يستطع العالمان الأمريكيان أن يحددا بالضبط مدار المذنب سويفت-تتل وإنما ظل مداره سرا حتى اهتدى إليه أحد هواة الفلك

فى اليابان اسمه كيوش ، وقد أعاد كيوش اكتشاف مدار هذا المذنب وسرعته وبمنتهى الدقة . وقد انزعج الكونجرس الأمريكى مما أعلنه علماء الفلك من أن مذنبا اقترب من الأرض حوالى نصف بليون ميل ، وكان من الممكن أن يحدث ضررا بالغا بالأرض . فطلب الكونجرس إلى هيئة الفضاء الأمريكية أن ترصد مدار المذنب سويفت ـ تتل وأن تبين بالضبط احتمال ارتطامه بالأرض كيف ومتى ثم أهم من كل ذلك كيف يمكن أن نتفادى الكارثة القادمة!

وفى مؤتمر علماء الفلك الدولى الذى انعقد فى ١٥ أكتوبر الماضى أوصى المؤتمر بدراسة هذا المذنب العظيم وكيف يمكن أن نواجهه بعيدا عن الأرض .

هناك احتمال واحد لمواجهة هذا المذنب وهو أن نطلق عليه رؤوسا نووية تعادل مائة ألف مرة قنبلة هيروشيما . وأن يكون ذلك بعيدا عن جو الأرض وفى هذه الحالة يتحول الكوكب إلى كتل هائلة من الحجارة ومن التراب الإشعاعى الذى يحيط بالأرض ويسقط عليها .

(٨)

أخيرا هذا الموت يمكن جدا وفى أى وقت . . وكان ممكنا فى السنوات الماضية . إذا أطلقت أمريكا ترسانتها من الأسلحة النووية على روسيا . . وفعلت روسيا نفس الشىء . . فسوف يموت الملايين فى وقت واحد . . ٨٠٪ يموتون بسبب الإصابة المباشرة والباقون يموتون بسبب الإشعاعات المميتة أو بسبب التراب الذرى . . أو بسبب الإشعاعات التى دخلت الأرض والخضروات والطعام . . فالموت مؤكد للجميع . .

ولذلك سارعت الدول فى الحصول على الأسلحة النووية وتحقيق ما سمى بعد ذلك بالتوازن النووى . . أو توازن الرعب . . فالروس عندهم أسلحة والأمريكان أيضا . . وكثير من الدول الآن وحاولت الدول العظمى أن تقيد الدول الصغيرة خوفا من أن يلعب الصغار بالنار ، فيروح ضحيتها الكبار .

وتحولت القنابل الذرية إلى أشكال وأحجام . . وإلى دخول عناصر جديدة فى صناعتها . . وإلى نشاط الجاسوسية فى العالم ليعرف الأعداء ما لدى بعضهم البعض من الأسرار . . وهدد الأمريكان بأن تكون الحرب فوق فى السماء . . حرب النجوم . . أو حرب الكواكب . . وذلك بأن يصنعوا أسلحة تدور حولنا . . فإذا صدرت لها تعليمات من الأرض انطلقت نحو روسيا ونسفت برؤوسها النووية قبل أن تصل إلى أوروبا وأمريكا . . واخترع الأمريكان ما وصفوه بالقنابل النظيفة -أى قنابل تصيب الهدف-

وليس لها تراب ذرى! ولكن هذا مستحيل ، فلابد من الإشعاعات ولابد أن تمتص المواد هذه الإشعاعات لألوف السنين . . ولذلك فالأرض التى انفجرت تحتها القنابل الذرية التجريبية سوف تبقى تشع بالموت . . وكذلك البحار . . أما القنابل الذرية التى انفجرت فى الهواء فقد أرسلت سحبا سامة تهبط فى كثير من الدول . .

وكان العلماء يخافون عند اختراع القنبلة الذرية التى أسقطها الأمريكان على اليابان من أن يؤدى إلى انفجار سلسلة لا نهائية من النفايات النووية فى الهواء والماء يؤدى إلى احتراقِ الأرض كلها فى لحظة واحدة . .

ولكن لم يكن ذلك سهلا فإطلاق الطاقة من المادة يحتاج إلى عمليات حرارية شديدة التعقيد ، ولذلك فالقنبلة الذرية الواحدة مهما كانت قوتها فإنها لا تستطيع أن تشعل الأرض كلها . .

وقد انتهت الحرب الباردة -أى التخويف بالحرب- منذ سنوات . . فلم يعد هناك سبب يخيف الإنسان من الإنسان ومن أن يموت ذريا أو إشعاعيا ، ولكن الحقيقة أن دولا كثيرة صاعدة رغم أنف أمريكا . . ورغم أنف روسيا التى كانت دولة عظمى . . هذه الدول الصغيرة تملك العناصر التى تتكون منها القنابل الذرية . . وهذه الدول قد أغرقت الأسواق باليورانيوم الخام واليورانيوم المخصب . . كما أن الدول العظمى تتاجر فى السلاح وتدعو للسلام . . ففرنسا باعت لليابان أخيرا طنا من مادة البلوتونيوم التى تستخدم فى إنتاج الطاقة النووية . . وكذلك أمريكا باعت وتبيع . . وبريطانيا وسويسرا وألمانيا . .

فبدلا من أن تكون الرؤوس النووية فى أيدى دولتين عظميين أصبحت فى متناول الدول الكبيرة والدول الصغيرة أيضا . .

ومعنى ذلك أن الموت بأيدينا الصغيرة أكثر احتمالا من الموت بأيدى الدول الكبيرة وهذا بالضبط ما ينتظرنا ولأسباب لا نعرفها حتى الآن . . وكأننا إذا لم نمت بثانى أوكسيد الكربون والأوزون بعد سبعين أو ثمانين عاما ، فإنه من الممكن أن نميت نصف الأرض وأن نشوه تكوينات وخلايا النصف الآخر بأشعة الموت النووى .

متى تحدث هذه الكارثة؟

فى أى وقت يقرر حاكم مجنون!

موسيقار المصران الغليظ !

الموسيقار محمد عبد الوهاب كان يصف نفسه بأنه طبيب المصران الغليظ فى مصر ، ولكن عندما استمع لى وأنا أتحدث عن المصران وتكوينه وأوجاعه وتقلصاته والوقاية والعلاج النفسى والكيميائى ، وافق على أن أجلس إلى جواره وأن أتصدر للفتوى فى كل ما يتعلق بالأمعاء والمعدة والمصران الغليظ .

وليس مرض السكر هو مرض الحضارة وإنما هو المصران الغليظ الذى هو مرض المثقفين المرهقين والعصبيين ، لأنهم يتناولون المنبهات والمهدئات والمثلجات وينسون أن يذهبوا إلى دورات المياه فى أوقات منتظمة .

وكان الأستاذ العقاد من أكثر الناس شكوى من الإمساك . وهو فى نفس الوقت من أكثرهم علما بما يحدث فى المصران الغليظ وكيف يمكن الوقاية والعلاج؟ سألته : كيف تصاب بالإمساك وأنت تعرف أسبابه؟ فكان يضحك قائلا : كأنك تسألنى كيف تأكل وتشرب وتتعب وتكافح وتصارع وتتفوق وأنت تعلم أن النهاية فى التراب!

وهناك مشاهير بالإمساك فى مقدمتهم الرئيس الأمريكى جيفرسون «١٧٤٣ - ١٨٢٦» ، وقد تضايق من أحد أصدقائه

فأصيب بأزمة وتقلص عصبى كاد أن يقتله لولا أن ساعده الأطباء على فك أزمة الإمساك المزمن عنده . .

وكذلك الزعيم الفرنسى الإرهابى روبسبير «١٧٥٨ - ١٧٩٤» ، إنه فى السنتين الأخيرتين من عمره شنق ستة آلاف مواطن برىء . . وقد حاول أحد أصدقائه أن يبين له قسوة هذا القرار وسخافته أيضا . . فوصف له بالضبط ماذا يحدث للمحكوم عليه بالإعدام ، ولم يكن يعرف كل هذه التفاصيل ، فأصابه تقلص حاد فى مصرانه الغليظ ، ولم يشف منه إلا بإعدامه شنقا!

أما نابليون «١٧٦٩ - ١٨٢١» فهو أشهر الذين أصيبوا بالإمساك فى التاريخ . . وكان يؤمن إيمانا مطلقا بأن الماء الساخن علاج لكل الأمراض العصبية والنفسية بما فيها الإمساك . ولكن لم يكن علاج الإمساك لرجل شديد الحيوية بهذه السهولة . . وكان يقول : إننى مستعد أن أستغنى عن ذراع أو ساق وأعطيها لمن يعالجنى من الإمساك . . ولم يعالجه أحد!

والعالم النفسى «فرويد» «١٨٠٦ - ١٨٧٣» كان يعيش على القليل جدا من الطعام زهدا وحتى لا يشتهى شيئا . . وكان لا يأكل الدهون . . وإنما يعيش على الأعشاب فكان إمساكه فظيعا . وكان يضع الأغطية المبللة بالماء الساخن على ظهره وعلى بطنه . . ويقال : إنه كان العلاج الوحيد للإمساك .

ولكن الذين جلسوا إليه فى مرضه السابق على الموت لاحظوا أنه لم يدخل دورة المياه ثلاثة أسابيع! ولم يتوقف الأستاذ محمد عبد الوهاب عن التشخيص والعلاج . . ولا أنا توقفت . . ولكن

فى يوم جاءتنى مكالمة من عبد الحليم حافظ وكان مريضا فى باريس ووجدته يصرخ : أنا سوف أموت وأنت السبب .

- لماذا؟

فقال : إن محمد عبد الوهاب وصف له دواء لعلاج الإمساك . . وقال له : إن هذا الدواء هو الذى يستخدمه أنيس منصور وأنت تعرف أن أنيس منصور يقرأ كثيرا ، وهو حجة فى مسألة الإمساك!

ولم أكن أستخدم هذا الدواء وإنما أراد محمد عبد الوهاب أن يقنع عبد الحليم باستعماله .

فقلت : لا . . أنا عندى دواء أحسن وهو الذى يستخدمه محمد عبد الوهاب!

فصرخ عبد الحليم حافظ وهو يقول : فى عرضك . . أنا أفضل أن أموت بالإمساك على أن أعيش بالإسهال الذى هو نتيجة تشخيصك وتشخيص عبد الوهاب!

ومن يومها وأنا لا أعالج أحدا!

أريد جورباتشوف !

سألنى التليفزيون الأمريكى : ومن الذى تحب أن تلقاه : كلينتون أم بوش . فقلت : أريد أن أتحدث إلى جورباتشوف .

فهو الرجل الذى هدم الشيوعية وفك الاتحاد السوفييتى وأطلق حرية القوميات فى روسيا وفى كل الدول الشيوعية . وكانت هذه القوميات مربوطة بالحديد والنار والرعب فى جزمة الاتحاد السوفييتى . . هذا الرجل جورباتشوف هو الذى أطلق العفريت من «القمقم» كما حدث فى ألف ليلة وليلة . . وهو الذى هدم حائط برلين وهو الذى وحد ألمانيا . . وهو الذى أنهى الحرب الباردة . . وهو الذى فتح عيون الروس على دنيا جديدة . . وهو الذى جعلهم يحتقرون أنفسهم : كيف أنهم ارتضوا الذل والهوان وعاشوا عيشة الكلاب وعلى رؤوسهم تيجان من الشوك اسمها : الاشتراكية . . والعدالة المطلقة وانهيار الرأسمالية الأمريكية الألمانية البريطانية اليابانية . . وهو الذى جعل الشيوعيين يحلمون بأن يروا الشحاذين الأمريكان فى حوارى موسكو . . وبدلا من أن يجعلوا أنفسهم أغنياء كالأمريكان ، فإنهم تمنوا أن يروا الأمريكان متسولين كالروس .

إن جورباتشوف هو الذى أطلق حرية مئات الملايين من السجناء الشيوعيين . . وجعل من حقهم أن يقولوا : لا . . لا لجورباتشوف نفسه . وقالوا : أنت رجل بطىء . . نحن نريد انقلابا سريعا . . نريد أن نكون أمريكانا وألمانا ويابانيين فى ٢٤ ساعة . . فقد تعذبنا سبعين عاما نحلم بسيادتنا للدنيا والكواكب الأخرى . .

فماذا حدث؟

إن جورباتشوف حاول إصلاح سفينة غارقة . ورفض أن تقف السفينة على الشاطىء . وإنما راح يصلحها وهو فى عرض البحر . . فخاف الناس -وهم يرونه يخلع المسامير ويغير الآلات- أن يؤدى ذلك إلى غرقها . . فاتهموه بالتخريب وتعويق مسيرة التطور نحو الرأسمالية؟!

وقد أدرك بوش أن جورباتشوف اشتراكى ، ولايزال . ولذلك تأخر فى مساعدته .

وساعد خصمه يلتسين الذى لولا جورباتشوف ما كان زعيما ولا رئيسا . . حتى يلتسين يتهم جورباتشوف بالتخريب والعمل ضد روسيا؟!

نفسى أسأل جورباتشوف كرجل المخابرات كيف لم تحتط لنفسك . . بينما رجل المخابرات الأمريكى بوش هو الذى علم بالمؤامرة عليك . . وهو الذى قال لك : إن خصومك يقفون بالباب وسوف يقطعون التليفونات فاهرب ونحن نساعدك!

نفسى أسأل جورباتشوف : أنت وبوش أحسن رئيسين يتمتعان بسمعة عالية فى الخارج وسمعة سيئة فى الداخل . . وأنت سقطت وهو أيضا سقط وسوف تعرف الشعوب قدرك عند نهاية هذا القرن أو الذى يليه . إن جثمان لينين المصنوع من البلاستيك هو هو الإنسان ويتوهمون أن النهاية هى أن تتوقف عجلات التاريخ عن الحركة والانتقال من حال إلى حال مضادة ثم إلى حال تجمع بين الضدين حتى تزول التناقضات وتتحقق دولة العمال الذين يحكمون الدنيا إلى آخر هذه الصرخات والهذيان وكل ذلك أعرفه وعلى يقين منه ، ولكن أريد أن تتضاعف متعتى بالاستماع إليك يا أيها الزعيم جورباتشوف .

لوحات هتلر !

معروضة للبيع فى إيطاليا عشرون لوحة مائية رسمها الزعيم النازى هتلر ، والذين رأوا هذه اللوحات يجدون أنها من الناحية الفنية عادية وأن هتلر لم تكن له موهبة فنية . .

وقد احترف الرسم ليعيش منه ، وعندما تقدم لأكاديمية الفنون فى فيينا رفضته لضعف مستواه -لقد عاش فى فيينا فيما بين ١٩٠٨ و١٩١٤ . . وهتلر مولود سنة ١٨٨٩ مع العقاد وطه حسين والمازنى وعبد الرحمن الرافعى . .

ولا أحد يعرف بالضبط كيف ظلت هذه اللوحات سليمة حتى عثروا عليها أخيرا . وقد تأكد الخبراء من صحة هذه اللوحات فيما عدا واحدة وجدها مزورة . . واللوحات المعروضة للبيع بمبلغ نصف مليون دولار بشرط . . ألا ينقلها من يشتريها إلى خارج إيطاليا . . وهناك خوف من أن يستولى عليها النازيون الجدد إذا ما عرضت فى أى متحف . . أو إذا اشتراها أحد من الناس . .

واللوحات عبارة عن مناظر لمعالم مدينة ميونخ . وهى أقرب إلى الكروت السياحية ، وليس فيها من أعماق الفنان أى شىء!

وهذه اللوحات وإن لم تكن لها قيمة فنية ، فلها قيمة تاريخية . . فالرسام من أعظم شخصيات القرن العشرين . . ومن الغريب أن هتلر هذا الفقير الصعلوك لم يكن يوقع على لوحاته إلا بعد أن يبيعها .

والملكة فريدة كانت تفعل كذلك ، فكل لوحاتها بلا إمضاء فقط عندما تبيع لوحاتها تضع اسمها على اللوحة . . فيكون هذا هو القيمة التاريخية . وكذلك كان تشرشل .

ومن بين اللوحات التى زوروها ونسبوها إلى هتلر : لوحة لامرأة وهذا أكبر دليل على أن الذين زوروا اللوحة لا يعرفون طبيعة هتلر . . فهتلر لا يحب المرأة ولا يرى أن لها أية قيمة خاصة . وأن الرجل أفضل منها ألف مرة ، حتى المرأة التى تزوجها فى آخر أيامه ، كانت تعمل سكرتيرة له . . وكانت تحنو عليه . . وقد ثبت أنها كانت تحب أحد حراس هتلر . . ولم يذكر لنا التاريخ الا إمرأة واحدة فى حياة هتلر . هى التى بعث بمن يستدرجها إلى الغابات ويقتلها هناك . إنها ابنة أخته!

ومن ضمن اللوحات المفبركة لوحة لامرأة أخرى . وقد استطاع الرسام أن يقترب إلى حد كبير جدا من طريقة هتلر فى الرسم . . ولكن الخبراء رفضوها لأن هتلر لا يهتم بالمرأة . فلا كان عنده وقت . . ولا كانت عنده فلوس . . ثم إنه كان مشغولا بالمرأة الألمانية «الولود» أى التى تلد الكثير من الأطفال ليحاربوا من أجل عظمة ألمانيا .

ولذلك فهذه اللوحات مرفوضة نفسا . وبعد ذلك تأكد الخبراء أن هذه اللوحات مدسوسة على هتلر .

وقد أشار بعض الضباط من حاشية هتلر إلى أنه كان يرسم أحيانا . . ثم يمزق الرسومات غير راض عنها . . ولكن استطاع بعضهم أن يحتفظ بهذه الرسومات فوجودها كلها عن أسلحة وعن

طائرات وعن قنابل . . وعن كلاب لها ملامح تشرشل . . وعن خنازير لها ملامح ستالين . . وقد احتفظوا بهذه الرسومات . . ولا ينقصها إلا إمضاء هتلر . . ولم يكن يقصد أنه يرسم لوحة ، وإنما هو يشخبط لأسباب من التوتر النفسى!

وقد رفضت الحكومة الإيطالية شراء هذه اللوحات ثم وضعها بعد ذلك فى أى متحف . فهى تخشى من النازيين الجدد الذين سوف يجيئون إلى هذا المتحف وربما عملوا على سرقتها أو خطفها بالقوة . . ولذلك تركت الحكومة الإيطالية لأى إنسان أن يشتريها مع تحذيره مما سوف يقع له من دراويش النازية الجديدة فى ألمانيا والنمسا .

نساء بوش !

كانت هيلين أجمل امرأة وظهر جمالها وهى طفلة وازدحم العرسان على بابها . . وقد اتفق أبوها مع كل هؤلاء العرسان أن يقسموا بالشرف على مساعدة الشاب السعيد الذى سوف يكون زوجها - إذا احتاج إلى مساعدة . .

وتزوجت هيلين . . ولكن الأمير باريس أمير طروادة قد رآها فأحبها وأحبته . . وقرر أن يهرب بها . . وهرب بها فكان لابد أن يفى الأمراء بوعودهم . . وقاموا يحاربون أمير طروادة . . وظلوا يحاصرون أسوار طروادة عشر سنوات . . ولم يتمكنوا من دخولها . . ولكن وجدوا حيلة . . وهى أن يصنعوا حصانا من الخشب . . وأن يدخلوا فى بطن الحصان . . فلما استولى جنود طروادة على الحصان أدخلوه فى مدينتهم . . فخرج الأمراء يحرقون المدينة ويستردون هيلين ويعودون بها إلى زوجها .

كان زمان عندما تنقلب الدنيا من أجل واحدة جميلة ، فلم تعد الحروب تقوم لأسباب شخصية مهما كانت الفتاة جميلة ، وإنما الحروب فعل قبيح يقوم لأسباب جيوبية . .

فالمرأة لم تعد سببا لهذه الحروب . ولكن من الممكن أن تساعد أو تمهد على قيامها . . أو الاشتراك بدور فيها .

وسوف يتحدث الناس عن ثلاث نساء عندما يتحدثون عن الرئيس السابق جورج بوش . .

سيدة إنجليزية الأصل اسمها جينيفر . . كانت سكرتيرة لبوش عندما كان سفيرا لبلاده فى الصين وعندما كان رئيسا للمخابرات وعندما كان نائبا للرئيس ريجان . . ثم عندما أصبح رئيسا عملت فى إدارة البروتوكول فى وزارة الخارجية ، ولما كثر الهمس فى العاصمة واشنطن صدرت لها التعليمات أن تهرب من أمريكا إلى أمريكا اللاتينية ولا تكشف وجهها إلا بعد ظهور نتائج الانتخابات . . ويقال الكثير عن علاقتها بالرئيس! وواحدة أخرى اسمها جنيفر أيضا كانت على علاقة بالرئيس الجديد كلينتون . . ووعدها . ولهما صور وتسجيلات صوتية ، وحاولت الصحف الأمريكية إسقاط الرئيس الجديد لصالح الرئيس القديم . فأعطوها أموالا وقالوا لها : قولى . . احكى . . بالصور . . بالصوت !

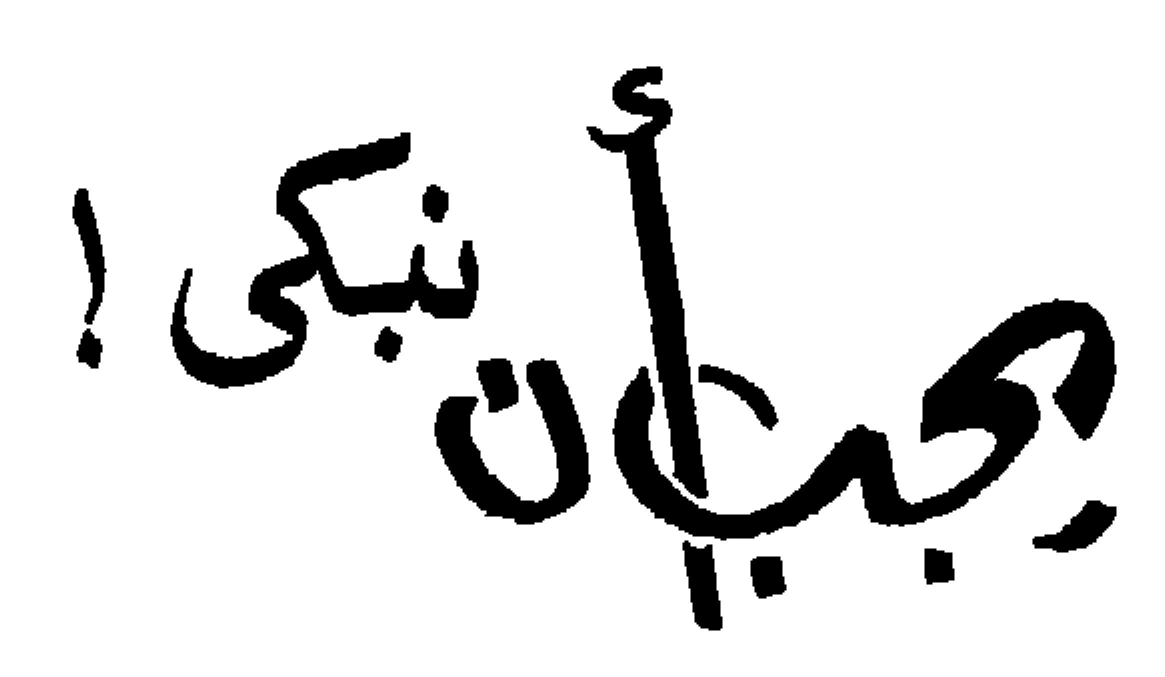
وفشلت كل هذه المحاولات ونجح كلينتون بشبابه وحيويته ولأن الشعب يريد التغيير . .

وأخيرا واحدة اسمها إليزابث تامبوزى . وقد عينها الرئيس بوش شخصيا ، فلها دور سياسى ولها دور فى المخابرات ، وطلب منها الرئيس بوش أن تفتش عن جواز سفر الرئيس كلينتون . . وتبحث أيضا فى السنوات التى عاشها فى لندن ويوم تظاهر فى لندن ضد حرب فيتنام . . وأن تبحث فى سجلات والدة الرئيس كلينتون . وهى سيدة تزوجت أربع مرات . وكانت تعيسة الحظ . . فزوجها أبو كلينتون مات قبل ولادته بشهور . . فكتبت ابنها على اسم

زوجها الثانى . وزوجها الثانى كان سكيرا يضربها ويضرب ابنها . فبعثت به إلى جدته ، واحتضنته وأحسنت تعليمه فى بريطانيا . . ثم تزوجت للمرة الثالثة ومات زوجها بالسرطان . . وتزوجت للمرة الرابعة وزوجها غنى .وهى كانت تتوقع لابنها أن يكون رئيسا لأمريكا . . وهذه السيدة اليزابث تامبوزى قد تكلمت أكثر مما يجب ففصلها بوش مع عدد من موظفى الخارجية!

ولن يمضى وقت طويل حتى تكتب مذكراتها والدور الذى كلفها به الرئيس بوش . .

وإذا كان سقوط بوش هو الزلزال فإن مذكرات هذه السيدة سوف تكون «توابع» لهذا الزلزال . . أو مقدمة لزلزال جديد .



شيئان لا يصح أن تخجل منهما : أن تبكى وأن تتجمل!

فقد مضى على الإنسان ألوف السنين ونحن نقول : عيب أنت رجل . . لا تبك . . البكاء للأطفال والنساء .

غلط . . أكبر غلط فى التربية!

إن الفيلسوف الألمانى «كنت» هو الذى قال لنا إن البكاء أدى إلى فناء الإنسان ، والإمساك عن البكاء أطال عمره ، ففى عصر الكهوف كان الطفل إذا بكى اهتدت إليه الوحوش فافترسته . . فتعلم الأبوان فى مئات السنين أن يسدوا فم الطفل حتى يعيش . . وعاش . .

ولكن عاد الطفل إلى البكاء عندما أصبح الأبوان آمنين من الوحوش . .

ولكن شاعت التربية أن تجعل البكاء للطفل وللمرأة ، وحرمت الرجل من ذلك . . فلو بكى الرجل عند الضيق لأدى ذلك إلى تخفيف التوتر العصبى . . وإطلاق مخزون الغضب وتكدسات اليأس وتراكمات الانتقام . . فاستراح فى النهاية . . وهى ميزة كانت تنفرد بها المرأة فهدأت أعصابها وطال عمرها ، ونفذت بجلدها من أمراض كثيرة مثل : السكر والذبحة وأمراض اضطرابات نمو الخلايا وكريات الدم .

ولذلك ينصحك الأطباء أن تكون رجلا وتبكى . فالرجولة لا تسقط عنك ، إذا سقطت منك مليون دمعة!

الشيء الثانى : أن تتألق وتتجمل وجها وشاربا وشعرا وعضلات الساقين والذراعين والبطن ، فهذا واجب تحتمه ضرورة العمل والحياة بلا اضطرابات معدية ومعوية . . إنهم فى الدول الآسيوية يمارسون الرياضة فى المكاتب والبنوك . . ويمارسون التدليك المتبادل فى أى وقت . . وكذلك فى الطائرات .

حتى الوجه الذى يتعرض أكثر من الجسم للتراب والرطوبة والحرارة والدخان والأشعة ، فهو أحد منافذ المرض والصحة . . ففيه العينان والأذنان والأنف والفم . . والوجه هو الواجهة التى تطل منها على الدنيا ، وأكثر الجسم حساسية وخطورة أيضا ، ولكن عنايتك به متواضعة جدا . . ماء وصابون فقط . . فلا فيتامينات ولا تدليك ولا كمادات ولا فرفشة . . قد لا تدرك التغيرات التى طرأت على وجهك بسرعة . . ولكن انظر إلى وزراء بلادنا : يوم حلفوا اليمين وبعد ذلك بعام واحد لقد كبروا عشر سنوات فى الظاهر وعشرين سنة فى الباطن!

يجب أن نتفرغ !

عندما تركب الطائرة فإنهم يطلبون إليك قبل الإقلاع أن تربط الحزام وأن تطفىء السيجارة وأن تعتدل فى جلستك -لماذا؟ لأن الطائرة سوف ترتفع .

وعندما يستعد رواد الفضاء إلى الارتفاع جدا والدوران حول الأرض ، ولأنهم سيعيشون فى ظروف صعبة غريبة فلابد من تدريبات عنيفة دقيقة قبل كل ذلك .

وكل من يريد أن يرتفع فى عمله وفى فنه ، لابد من القيود . لابد أن يأخذ نفسه بشدة . لابد من التضحية . . وإلا فلن يرتفع وإذا ارتفع فلن يظل هناك طويلا .

أقول ذلك وفى عينى وأذنى صورة الشباب المتطلعين إلى مستقبل أفضل . مثلا : المطربون الذين يظهرون على شاشة التليفزيون ، مع الأسف الشديد أكثرهم بلا موهبة ، وأكثرهم بلا لياقة صحية ولا لياقة فنية أيضا . فأكثرهم يلهث بعد الجملة الواحدة . لماذا؟ لأنه مرهق . . يسهر طويلا ويأكل كثيرا ويسرف على نفسه فى حياة الشباب ، ومحمد عبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ وفايزة أحمد وفيروز لم يكونوا يدخنون جميعا ، ويعطون أنفسهم قسطا وفيرا من الراحة والعناية الصحية إلى جانب أنهم جميعا أصحاب مواهب فنية عظيمة .

وأكثر هؤلاء الشبان لا يستمعون إلى أغانى الأساتذة السابقين . . ولا يرددونها حبا فيها وتذوقا لها وترويضا لحناجرهم عليها ، أى أنه بلا ثقافة فنية . اكتفاء بأنهم مشغولون بأغانيهم .

تماما كالملحن الذى لا يستمع إلى موسيقى الآخرين ، والرسام الذى لا يتأمل لوحات الآخرين ، والأديب الذى لا يقرأ لغيره من أعلام النثر والشعر .

وعبارة الأديب الفرنسى أندريه مالرو صحيحة فى كل وقت . قال : إن الفن يعيش على الفن . أى أن الفنان إذا أراد أن يتعلم الرسم وموسيقى الألوان عند الشروق والغروب ، ولكن من لوحات الفنانين .

لن يتعلم الموسيقى من خرير المياه وهبوب العواصف ، ولكن من موسيقى الموهوبين .

ولا نجاح بلا تفرغ للفن ، وبلا عشق له ، وتضحية من أجله ، وهناك حكمة قديمة تقول : إذا أنت وهبت نفسك للفن ، وهبك الفن بعضه ، وإذا وهبت بعضك للفن ، لم يعطك الفن شيئا!

ولم أر دخاناً !

رأيت فى التليفزيون الفرنسى أن حريقا قد شب عند الفجر فى القصر الإمبراطورى . نظرت من النافذة فلم ألاحظ دخانا . لقد أطفأوا الحريق فى الساعات المبكرة من اليوم . . وكان المارة قد لاحظوا دخانا ، ووقفوا حتى تجىء سلطات الأمن والإطفاء وخبراء المباحث . وبسرعة وجدوا الحريق فى قاعة الاحتفالات الكبرى والتى كلها من خشب جميل ، أرضا وسقفا وحوائط . .

والقصر كانت تسكنه الأسرة المالكة فى القرون الخمسة الماضية . وهو تحفة معمارية رائعة المداخل والبوابات والنافورات والتماثيل واللوحات والجداريات وقد تركت الأسرة المالكة مجوهراتها وتيجانها وفساتينها ، ولا تزال قاعة الطعام الكبرى كما كانت يوم انعقد فيها مؤتمر فيينا الشهير لتحقيق السلام بعد حروب نابليون . وفى هذه القاعة تألف الأمير مترنيخ وزير الخارجية . .

وفى قاعة العرش توجد مجوهرات الإمبراطورة ماريا تربرا . . وتوجد وراثها الذهبية . . وأهم من ذلك يوجد «مسمار المسيح» . . والمسمار أتوا به من القدس أيام الحروب الصليبية ويقال : إنه أحد المسامير الذى كانت فى الصليب الذى علقوا عليه المسيح عليه السلام . .

وفى القصر المكتبة الوطنية . . وبه المتحف الوطنى الذى يضم ثمانين ألف لوحة لكبار الفنانين مثل رمرانت وردبنز وديرر وغيرهم . .

وبالقصر أيضا مدرسة الخيول الأسبانية البيضاء التى هى خليط من الخيول العربية والخيول الأسبانية وقد جاءت إلى فيينا سنة ١٥٩٠ .

وقد رأيت فى التليفزيون كيف أنهم فتحوا الأبواب للخيول حتى لاتحترق . وتطوع الناس بحراسة الخيول والنوم إلى جوارها حتى الصباح . . أما الكتب فقد نقلوها خمسة خمسة . . فقد وقف طابور من الناس ينقلونها فى عناية وبنفس الترتيب الأبجدى . . ولم تزحف النار خارج قاعة الاحتفالات الكبرى . .

وطالعت الصحف النمساوية فوجدت خبر الحريق وتقدير الخسائر ، وصورا لبعض المتطوعين الذين لم يعودوا إلى بيوتهم أياما . وبدأ إصلاح القصر وترميم الأرض والجدران والبحث عن أسباب الحريق . .

ولم أقرأ سطرا واحدا عن «الأعمال البطولية التى تدل على أصالة وعراقة الشعب المجيد» كما نقول نحن فى مصر عن أتفه عمل يقوم به أى إنسان تافه ولا نخجل من أن نكرر ذلك كالببغاوات فى كل وسائل الإعلام؟!

ولا قرأت عن أية إشارة من قريب أو من بعيد عن مكافأة الذين أطفأوا الحريق دون خسائر كبيرة . . ولا عن تعويض الذين تركوا أعمالهم وتفرغوا لعمل وطنى تاريخى عظيم ، كلمتا «وطنى» و«تاريخى» من عندى أنا ، ولم تستعملها الصحف النمساوية!

ولم أقرأ شيئا من مثل هذه الكلمات أيضا عند إطفاء قصر وندسور فى لندن . وكل الذى قرأته هو تساؤل الشعب البريطانى إن كانت الملكة ـ وهى أغنى سيدة فى العالم ـ سوف تضع فى عينها فص ملح وتدفع الستين مليونا من الجنيهات تكاليف ترميم هذا القصر التاريخى .

ومنذ أيام لم أعد أقرأ شيئا عن الحريق وعن الإطفاء وبداية الترميم والتعمير . . عجبى!

الرئيس ينـــام ؟

فجأة قفز اسم أحد المنومات إلى صدور الصحف . المنوم اسمه هاليسون ، وقد أعلن الرئيس الأمريكى بوش أنه يتعاطى هذا المنوم فى رحلاته الطويلة ، وهذا المنوم من مزاياه أنه قصير الأمد ، وأن مفعوله ليوم واحد أو ليلة . . وأنه لا يترك أثرا فى اليوم التالى . وانتقل هذا المنوم إلى أوروبا . . وإلى بريطانيا بالذات ، وقد تحفظت الرقابة الدوائية على هذا المنوم - إما لأن فى بريطانيا عقاقير منافسة له ، وإما لأن الأطباء رأوا له آثارا جانبية لم تعلن عنها الشركة الأمريكية التى تنتج هذا العقار . . وقد ذهبت الشركة الأمريكية إلى القضاء لكى يتم الإفراج عن هذه الحبوب فى الأسواق ، وأعلنت الشركة الأمريكية أن أكثر من عشرين مليونا فى أمريكا يتعاطون هذه الحبوب ، ولا شكوى لهم!

وفجأة مرة أخرى أطلقت سيدة تسع رصاصات على أمها ، فقتلتها ، وفى التحقيق معها قالت : إن الاضطراب النفسى الذى أصابها كان بسبب تعاطيها للمنوم «هاليسون» فهى قد أدمنته حتى اضطربت نفسها تماما . . وذهبت هذه السيدة إلى القضاء فطلبت تعويضا من الشركة المنتجة للمنوم . . التعويض قدره عشرون مليون دولار!

وأقبل الأطباء يمتحنون هذا المنوم ويعطونه لمرضاهم . . وقد لاحظ أحد الباحثين أنه لو أعطى نصف ملليجرام ولمدة ٤٢ يوما لأى إنسان سوف يصاب باضطراب عصبى . . وأعلن أطباء آخرون نتائج مشابهة . ووجهوا التهمة إلى الشركة المنتجة التى أنتجت هذا العقار بأنها لم تذكر بوضوح الآثار الجانبية له ولذلك فهى «غلطانة» . وإنها قد كذبت على زبائنها وأنها ضللت الرأى العام .

وطلبت الشركة إلى عدد من الأطباء أن يبحثوا معها المعطيات النفسية والتجارب المعملية التى قامت بها على خمسة آلاف من متعاطى هذه المنومات . وقد انقسم الأطباء إلى فريقين : واحد يرى أن هذه الحبوب المنومة من الممكن أن تكون لها أضرار على المدى الطويل . . وفريق يرى أنه من الأفضل أن يتعاطى الناس هذه الأقراص على فترات متقطعة ، حتى لا يصاب الناس بالإدمان . . وطلبوا أن تقوم الشركة ببيع أقراص شبيهة للأقراص المنومة وليست بها مادة منومة ، وقد لاحظ الأطباء أنها تؤدى إلى نفس النتيجة - أى إلى النوم دون أن يكون لها أى ضرر . .

ولاحظت الشركة أن الذين يتعاطون هذا المنوم أكثرهم من كبار السن . . وهم الذين لا قدرة لهم على السهر والأرق . . وأنهم فى حاجة إلى أى شىء يساعدهم على النوم - حتى لو كان ضارا لأعصابهم . .

ولكن أحدا لم يسأل بوش إن كان هو الآخر مدمنا ، وإن كان هذا الإدمان قد أدى به إلى اضطراب رؤيته ورأيه . . وإن كان لذلك كله أى أثر على مواقفه فى حملته الانتخابية وفى كل الولايات . .

ولكن استطاع بعض الباحثين أن يعرفوا بشكل ما عن طريق البيت الأبيض أن الرئيس بوش لا يتعاطى هذه الأقراص إلا فى رحلاته الطويلة فقط . . وأنه واحد من زعماء العالم الذين ينامون بسهولة . وأنه يجب أن ينام طويلا وأن يصحو على مهله . . وأن للرئيس بوش نظرية خاصة فى استدراج النوم إلى العين . . وأنه ليس الآن وقت الحديث عن النوم ، والشعب كله واقف على حيله يريد أن يقرر من يكون رئيسا للبلاد وحاكما للكرة الأرضية فى السنوات الأربع القادمة . .

وكان فى نية الرئيس بوش أن يحكى حكايته مع المنومات . . ولكنه خشى أن يستخدمها خصمه ضده فى الانتخابات الحالية . . ولذلك لم يجرؤ أحد أن يسأل الرئيس ولا تطوع هو بأية معلومات . .

وكان الرئيس السادات يتباهى بأن عنده صفتين لا تتوافران إلا لعدد قليل من الزعماء فى العالم : أنه ينام بعمق وأنه لديه حس تاريخى عميق . فأكبر متعة هى أن يقرأ التاريخ أو يتفرج على الأفلام التاريخية . . وأن هذه المتعة السينمائية هى وحدها التى تجعله ينام بسرعة وبعمق!

العالم اليوم..

شاركت فى ميلاد عدد كبير من الصحف . . عملت فى جريدة «الأساس» عند إنشائها . . وشاركت فى ميلاد «الجريدة المسائية» . . وتركتها إلى «جريدة الأهرام» وتركت الأهرام لأشارك فى ميلاد «الأخبار» وشاركت فى تطوير مجلة «الجيل» ورأست تحريرها . . وشاركت فى مجلة «هى» ورأست تحريرها مع المرحوم على أمين . .

وأنشأت وحدى مجلة «أكتوبر» ورأست تحريرها . . وأنشأت مجلة «وادى النيل» ورأست تحريرها . . وأعرف معنى الولادة . . وآلام الولادة والخوف واليأس والمرض والوحمة والحضانة بعد ذلك . .

عندما أنشأت مجلة «أكتوبر» كان لابد أن تكون مختلفة تماما عن كل المجلات العربية من أول الاسم بالصفة الأولى ، فالأبواب فالهوامش وأرقام الصفحات ونوع الخط . . وتوقع لها الكثيرون ألا تنجح ، وإلا إذا نجحت بعض الوقت . . سنة أو سنتين ومضى عليها ١٦ عاما وهى أجمل وأحسن المجلات السياسية والاجتماعية . .

ولم أشارك فى ميلاد «العالم اليوم» وإنما سمعت من الأستاذ عماد الدين أديب . . هو يقول وأنا أندهش لهذه الجرأة . . معقول

جريدة جديدة ، يومية ، مالية ، اقتصادية . والأولى فى العالم العربى . . يومية . . معقول!

صحيح لقد نجحت مجلة «كل الناس» نجاحا عظيما ، ولكن هذا الشاب عماد الدين أديب الذى رأس تحرير مجلات عربية أخرى . . ولكن من أين له هذه الجرأة . أو هذا اليقين من نجاحها؟ إننى حديث العهد بمعرفة عماد الدين أديب . . ولكن هذا النوع من الشباب أعرفه . . لابد أن يكون ابن مدرسة أخبار اليوم الصحفية . . الشباب والجرأة والثقة بالنفس والإيمان بالمستقبل . . وهو الذى بشر به أستاذنا الكبير على أمين . . وكان مصطفى أمين أكبر دليل على النجاح نفسه . . فهو أستاذ الخبر والسبق الصحفى وإطلاق الصواريخ الصحفية فى كل الاتجاهات ويشجعها بغير حدود . . ولكن من الغريب أن عماد الدين لم يعمل فى أخبار اليوم . . ولكنه يذكرنى بشباب مصطفى أمين وعلى أمين . . فالرأس كبير والجسم أيضا . . وهو ملىء بالحيوية والشباب والقلق واليقين . . جريدة يومية؟ والأولى فى العالم العربى التى تحدث رجال المال والأعمال . . الشركات والبنوك . . الذين يقرأون الصحف الأجنبية ويتابعون الأوراق المالية التى تتطاير من لندن إلى نيويورك إلى طوكيو إلى فرانكفورت .

وكلما قابلت عماد الدين أديب قال أنه ماض فى التعاقد مع كبريات صحف المال العالمية . . وأنه ماض فى الطريق وأنه قد حدد موعد الصدور . . وأنه وأنه . . وساهمت فى الكتابة فى «العالم اليوم» وأنا لا أعرفها . . ولا أعرف ما هى الأبواب ولا ما هى الرسالة . . وكل الذى أعرفه هو نجاح عماد الدين أديب الصحفى وقفزاته من محرر إلى رئيس تحرير إلى صاحب دار صحفية . .

ولم أتردد لحظة واحدة فى أن أشارك لأننى على يقين من الفهم السليم لعماد الدين أديب . . فهو يعرف ماذا يريد . . وماذا يريد منه القارىء المشتغل بالأعمال والأموال فى مصر والعالم العربى . .

وظهرت الصحيفة وقلبتها بين يدى . . وجدت فيها كل ما يريده رجال الاقتصاد ولا يجدونه فى جميع الصحف العربية . . ورأيت عددا كبيرا من رجال البنوك يقرأون الصحيفة وينتظرونها ويعلقون عليها . .

قال أحد رؤساء البنوك : إن هذه الصحيفة قد جعلتنى أطفو على وجه الدنيا . فأنا أعرف بالضبط كل ما يحدث فى دنيا المال ومن أوثق المصادر .

قال لى شاب فى بنك مصر الدولى : إننى أطالع كل الصحف اليومية فى ربع ساعة ، ولكن هذه الصحيفة تأخذ منى بقية الساعة وأحيانا أعود إليها ، وأقطع بعض المقالات وأضعها فى الأرشيف لحين الحاجة إليها .

إن شابا مثل عماد الدين أديب يصدر مجلة أسبوعية ناجحة وجريدة يومية ناجحة ، لقادر على أن يوظف قدراته وثاقب نظراته فى أى مشروع آخر . . اليوم أو غدا .

والحقيقة أن عماد الدين أديب هو شباب مصطفى أمين وعلى أمين ورجولتهما أيضا .

ولذلك فصحيفة «العالم اليوم» التى بلغت من العمر سنة واحدة من النمو والتقدم والثبات والانتشار لم تبلغ فى الحقيقة سنتها الأولى فقط . . وإنما سنتها الأولى بعدالعشرين أو بعد الثلاثين . . ففيها الوعى والرزانة والحكمة . .

مبروك لها وللعاملين فيها والشكر عظيما للذين ساعدوا على نموها واستمرارها واستقرارها . . وعقبال مائة سنة!

حكاية حروف..

فى الصحف والمجلات البريطانية فضيحة تتكرر كل يوم بأشكال مختلفة . . الفضيحة أن التلاميذ الصغار يغلطون إملائيا فى كتابة الأفعال أو الأسماء . . بل إن هذه الأخطاء انتقلت إلى طلبة الجامعة أيضا . . «بالمناسبة : نائب الرئيس بوش أخطأ عندما طلبوا إليه أن يكتب كلمة بطاطس . . فأنقصها حرفا . . ولايزال يطمع فى أن ينتخبوه نائبا للرئيس!» . وطلبت بريطانيا من الولايات المتحدة أن تساعدها فى مواجهة هذه الكارثة . . وكان العلاج عن طريق التليفزيون .

وذلك بأن بعثوا لهم أفلام كرتون يراها التلاميذ الصغار . . ويتابعونها . . ولكى يتابعوها لابد أن يقرأوا المكتوب عليها . . بل أن يمسك الواحد منهم ورقة وقلما ويكتب الكلمات الصحيحة أو يكمل العبارات الناقصة .

واقترح الأمريكان أن يتولى هذه البرامج عدد من النجوم الذين يحبهم الأطفال . فوجود النجم المحبوب الذى يدعوه إلى القراءة والكتابة وهو يتفرج سوف يساعد الطفل على أن يعرف شكل الكلمات والحروف المكونة لها . ورأى الأمريكان أيضا أن أحسن الأفلام التى تناسب الطفل فى هذه السن ، ليست هى الحوارات الساذجة بين الحيوانات . . ولا هى الأساطير القديمة . . وإنما هى

قصص الخيال العلمى . . أى القصص التى تقول لنا ماذا سوف يحدث على القمر أو على المريخ فى السنوات القادمة . . وبعد أن ثبت لنا علميا أنه لا كائنات عاقلة هناك . . لا هى موجودة الآن ولا كانت موجودة فى أى وقت . . وإن كانت سفينة الفضاء قد وجدت تمثالا نصفيا كبيرا لرأس رجل وعينيه وأنفه وشفتيه . . وفى نفس الوقت من الممكن أن تكون هذه المعالم الإنسانية من صنع الرياح والحرارة والبرودة . . ففى جبال أمريكا صور من هذا النوع وهى ليست بفعل الإنسان وإنما بفعل عوامل الطبيعة .

وقد جرب علماء التربية الأمريكان هذه الأفلام على تلامذة صغار . . وعرفوا منهم ما الذى يعجبهم والذى لا يعجبهم . . ثم انتقل علماء التربية الأمريكان إلى أنهم راحوا يطلبون من التلامذة الصغار أن يدخلوا تعديلات على وسائل الانتقال فى الكواكب وبينها . . فتخيلوا وسائل المواصلات من السيارات والطيارات الغريبة فيها عيوب واضحة حتى تلتفت إليها عيون الأطفال . وقد اندهش علماء التربية ؛ لأن الأطفال الصغار أدخلوا التعديلات بسرعة هائلة ، بل إن عددا منهم قد رسموا أجهزة أخرى أفضل وأجمل . ومن بين الأسئلة التى يوجهونها للطفل افرض أن هذا الكوكب ليس له اسم ، فما الاسم الذى تختاره؟ وما هى أسماء الجبال والوديان؟ وما الأسماء التى تختارها لسكان المريخ . . أسماء الرجال وأسماء الإناث . . وما هى النباتات والفواكه والحيوانات . . ارسم شكلها مع ملاحظة أن هذه الحيوانات سوف تعيش طويلا لأن جو المريخ ليس مسموما . . وأن وأن .

وسؤال آخر : وإذا أنت سافرت وحدك فكم يوما تستطيع أن تعيش بمفردك . . وإذا قررت أن تختار ثلاثة من أصدقائك فلماذا؟ وهل تختارهم جميعا من الذكور أم من الإناث ولماذا؟ وإذا فرضنا أن والدك حاول أن يجىء معك فهل توافق علما بأنه لا قدرة له على الحركة ولا على مسايرة التطور . . إلخ .

لقد كانت الإجابات كنزا من المعلومات عن عقلية الأطفال والشبان الصغار . . وأكبر دليل على خيالهم الخصب . . فليس الطفل فى حاجة إلى مجهود كبير لكى يحلم . . وإنما فى حاجة إلى من يدفعه . . إلى من يخلق له جوا .

والطفل الأمريكى لن يختلف كثيرا عن الطفل البريطانى . . وقد لاحظوا أن الأخطاء الإملائية عند الأطفال أصبحت نادرة جدا . . ولذلك سوف تمتلئ قنوات التليفزيون البريطانية والدوائر التليفزيونية المغلقة بالأفلام الأمريكية الجديدة التى تشغل الخيال وتقوى قدرة التلميذ على الملاحظة . . وأهم هذه الملاحظات : الحروف المكونة للكلمات!

أخرجتم من العزلة

استطاع الرئيس جورج بوش بذكاء أن يجعل للأمم المتحدة دورا فى حفظ السلام فى العالم . . وكانت أعظم تجربة له : حرب الخليج . . فقد أثار الدنيا كلها على العراق فدخلت الأمم المتحدة والجامعة العربية والمجموعة الأوروبية كلها ضد العراق الذى اعتدى على الكويت والسعودية . . ولذلك فجورج بوش سوف يدخل التاريخ على أنه أعظم وأروع من أدار أزمة فى العصر الحديث أدارها ونجح ، ثم عاد ينشط دور الأمم المتحدة فى أماكن أخرى من العالم ، فى يوغوسلافيا وفى بورما .

وفى نفس الوقت كان د . بطرس غالى عنده أمل فى إصلاح الأمم المتحدة التى امتلأت بالوظائف وامتلأت بالرفاهية ، أما عملها فقليل جدا ، ولذلك فقد استغنى عن عدد كبير من موظفيها تخفيضا للنفقات وتضخيما للدور العالمى . . وكان للدكتور بطرس غالى مشروع اسمه «جدول أعمال السلام» . وفى ٢١ سبتمبر الماضى ألقى الرئيس بوش خطابا فى الجمعية العامة للأمم المتحدة تعهد بأن يكون مساعدا لكل قوات السلام فى العالم بالمال والأسلحة والذخيرة والانتقال والمعلومات .

ثم تحدث من بعده سير دوجلاس هيرد وزير خارجية بريطانيا نيابة عن الدول الأوروبة -١٢ دولة- تحدث عن سياستها العامة ، رغم أنه لا يوجد بين هذه الدول أى اتفاق فى السياسة الخارجية أو الداخلية . . ولكنه تحدث . . وانتهز هذه الفرصة وهنأ د . بطرس غالى على موقفه الإصلاحى للأمم المتحدة ، لقد كان بينهما شجار وشتائم متبادلة ، ومن بين الذى قاله د . بطرس غالى ضد هجوم الصحف البريطانية عليه أنه لم يعد مواطنا فى دولة مستعمرة .

أى أنه أراد أن يذكر الإنجليز بما كانوا يفعلونه فى المستعمرات وفى مصر .

وقد غضب الإنجليز وكان من الممكن أن يؤدى ذلك إلى صدام بين بطرس غالى وهيرد . . أو بين العرب وبريطانيا أو دول العالم الثالث كله وبريطانيا . . ولكن بسرعة تراجع الإنجليز واعتذروا للدكتور بطرس غالى بعد أن أشاعوا أنه سوف يستقيل ، وبسرعة نفى بطرس غالى أنه سوف يستقيل .

ولكن لا تزال هناك مشكلة خطيرة ، فالأمم المتحدة ليس عندها فلوس . «فأعضاؤها وعددهم ١٧٩ يجب أن يدفعوا ألفى مليون دولار» فالدول الأعضاء لم تدفع حصتها السنوية . . أمريكا تدفع نصف مستحقات الأمم المتحدة وتدفع عادة مؤخرا ، وتدين بمبلغ ٨٠٠ مليون دولار ، أما روسيا فلم تعد قادرة على الدفع نظرا لظروفها الاقتصادية الصعبة وفى الثمانينات قررت أمريكا معاقبة الأمم المتحدة على سلوكها وعلى موقفها من أمريكا ، أما سلوكها فهى أن موظفيها يعيشون فى بذخ ، فهى مثلا تنفق على الصحف والمجلات للأعضاء والقوات العسكرية أكثر من مائة مليون دولار سنويا؟!

وموظفوها يعيشون وكأنهم رؤساء دول .

ثم إن الأمم المتحدة قد اتخذت موقفا معاديا لأمريكا . . بل إن الأمم المتحدة كانت فى وقت من الأوقات ألعوبة شيوعية للهجوم المنظم على أمريكا التى لولاها ما وقفت الأمم المتحدة على قدميها فى أمريكا أو فى أى مكان من العالم . وقد اعتدلت المنابر فى كل المؤسسات الدولية ، واتخذت موقفا معقولا من أمريكا . . ثم موقفا محايدا وبعد خروج روسيا من كل الساحات الدولية بصفة نهائية ، عرفت دول العالم من الذى يحكم العالم ومن الذى يمول المؤسسات الدولية .

وقد استطاعت أمريكا إخراج ألمانيا واليابان من العزلة المؤكدة ، فأمريكا هى التى وضعت دستور هاتين الدولتين ، وحتمت عليهما عدم إرسال أية قوات إلى الخارج . ولكن الموقف فى الخليج جعل أمريكا تضغط على الدولتين . . فساهمتا بالفلوس أو الخدمات رغم مخالفة ذلك للدستور . . فأرسلت ألمانيا فلوسا وذخيرة وأدوات طبية ، أما اليابان فقد أرسلت قوات عسكرية إلى بورما ولأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

والإنجليز عادوا يقولون : ولكن بطرس غالى وزير خارجية وليس مديرا . . أو أنه رجل مفكر وليس مديرا . . وهو عندما يفكر فهو يفكر وحده كوزير ، ولكن فى الأمم المتحدة لا يمكن أن يكون مديرا منفردا بالقرار ، ومن هنا كانت الصدمات التى سوف تواجه د . بطرس غالى .

ولكن د . بطرس غالى سوف ينجح فى إدارة وتطهير وتنظيم وإصلاح الأمم المتحدة وهذا هو مدخله إلى التاريخ كأحسن من جلس على هذا المقعد منذ إنشاء الأمم المتحدة .

وبـــــق التمثال ..

اليابان تطالب روسيا بإعادة جزر كوريل إليها ، فقد استولت عليها روسيا أثناء الحرب العالمية الثانية . الجزر عددها ثلاثون جزيرة وامتدادها حوالى ٢٠٠٠ كيلومتر وتفصل بين بحر اكتسك المحيط الهادى . وعلى شكل قوس وقائى . وفى هذا القوس الوقائى استقرت الغواصات وقواعد إطلاق الصواريخ الموجهة كلها إلى أمريكا . . صحيح لا توجد مشاكل اليوم بين روسيا وأمريكا ، ولكن من يدرى ربما صارت المشاكل غدا ، ولذلك فأهل هذه الجزر من الروس يتمسكون بها خوفا من الغد . . وكذلك خصوم الرئيس يلتسين يطلبون إليه ألا يعيدها إلى اليابان وكفى ما حدث للاتحاد السوفييتى . . لقد تفكك فلم يعد به شىء ، وخصوم يلتسين أقوياء وبلاده مفككة بالفساد والعصابات . . والرشاوى وتجارة الرقيق الأبيض . . لقد أدى سقوط الشيوعية إلى كشف عورات المجتمع الروسى الجائع المتخلف .

وفى نفس الوقت يمضى اليابانيون فى إغراءاتهم المادية الهائلة . . فهم على استعداد لمساعدة الروس وتعويضهم . ثم إن اليابان قد دعت عددا كبيرا من قيادات الجزر إلى اليابان وأغرقتهم

بالفلوس والهدايا . . والسيارات والأجهزة الإلكترونية . . وجعلتهم يعيشون فى أبهة ورخاء . . حتى أدارت رؤوسهم ، وأعلن كثيرون عند عودتهم أنهم يعيشون فى الجحيم والهوان . وأن الحياة كلمة يابانية وأنه خير لهم أن يعيدوا الجزر إلى أصحابها مع ضمانات يابانية بأن يعيشوا معهم فى الجزيرة - عددهم ٢٥ ألفا!

ومن مئات السنين وهذه الجزر يسكنها الروس من الصيادين ويعيشون مع اليابانيين وبينهم جميعا صراع شديد على مصايد الأسماك وجلود الحيوانات النادرة . . ولكن أمريكا عاقبت اليابان على إغراقها الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور ، فأعطت الجزر للاتحاد السوفييتى ، ولم تتوقف اليابان عن المطالبة بعودة هذه الجزر . . أى عودة حدودها الشمالية ، وقد وعدهم الرئيس يلتسين . ولكنه لم يستطع أن يفى بوعده . . وعندما قرر زيارة اليابان فقد زادت الضغوط عليه ألا يذهب . . واعتذر عن الزيارة . . ولاتزال ضغوط المعارضة تهدده بالسقوط إن هو أعاد الجزر إلى اليابان مقابل مساعدات مالية ضخمة أو تعويضات سخية . . كالتعويضات التى دفعها الألمان لروسيا . . ببناء بيوت لكل القوات السوفيتية التى انسحبت من ألمانيا الشرقية .

وكان يلتسين قد وعد بتخفيف الحامية الروسية -عددها سبعة آلاف جندى- ولكن الشعب الروسى فى هذه الجزر يعيش فى الفقر والجوع محروما من كل نعم الحياة . . وقد نجحت اليابان فى تحطيم أعصاب سكان الجزر من الروس ، فقد دعتهم ضيوفا عليها ليروا الأبهة والفخامة والنعيم والتقدم الهائل والرخاء اليابانى . .

وانتشرت السيارات اليابانية فى كل الجزر . . كإعلان ليلا ونهارا على الحضور اليابانى وعلى المستقبل السعيد الذى ينتظر الجميع إذا ما تركوها لليابان . .

والعاصمة أترول ليست إلا قرية صغيرة . . شوارعها قذرة . والناس يعيشون فى أنقاض من الخشب . وصناعتهم السمك يأكلونه ولا يعرفون سواه من الأطعمة . . وعلى الرغم من أن هذه الجزر لم تعرف الحرب فهى أنقاض فى أنقاض . . أما الشىء الوحيد الذى حفظوه لكى يبقى مئات السنين فهو تمثال نصفى للزعيم لينين . . وهو التمثال الوحيد الموجود فى كل الدول الشيوعية . . فالثورة على الشيوعية لم تبلغ هذه البلاد بعد . . ولذلك لايزال التمثال باقيا . رمزا قائما لاستعباد وإذلال وهوان الشعوب الشيوعية . . ولعل الشعب الروسى فى سخالين لا يجد القوة العضلية والعصبية لإسقاط هذا التمثال . . لعلهم قد تركوا هذه المهمة لليابان عندما تستعيد أرضها قريبا - ربما بعد سقوط يلتسين أيضا!

كيف يفكر الكفرة ؟

زرت جـزيرة بالى مـن ٣٣ عـامـا ، إنهـا الجـزيرة الوحـيـدة فى أندونيسيا التى تؤمن بـالديانة الهندية . وكل شىء فى هذه الجزيرة يدل على أنها قد امتلأت بالأرواح الشريرة والخيرة أيضا . . ففيها علامات على الأشجار ورموز على الجدران . . وهم يحبون الطيور والقـرود . . ولذلك تجد القـرود فى كل مكان ولا أحـد يقـتـرب من الطيــور . . والطقـوس الـدينيــة عندهـم كلهـا رقص وطبل وبخــور وحرائق . . يحرقون الكثير من الخشب لأسباب دينية . .

وفى الأسبوع الماضى احتشد أكبر عدد من السياح من أركان الدنيا . جاءت بهم الطائرات والبواخر ليشهدوا أكبر احتفال فى تاريخ الجزيرة . فالزعيم الدينى قرر أن يدفن زوجته بعد أن ماتت منذ سنتين . . فقد احتفظ بزوجته ولم يشأ أن يدفنها لشدة حبه لها . . والرجل فى الثمانين وزوجته فى السبعين . . أما الاحتفال فهو عبارة عن إحراق لما تبقى من جثة زوجته فى خشب الصندل والبخور الهندى . . ثم مواكب من الفتيات ومواكب من الرجال وقد ارتدوا ملابس الأرواح وتغطت وجوههم بالأقنعة المخيفة . . أى التى تخيف العفاريت فتبعد عن مسار الجنازة . . وهناك أعمدة من الزينات . . هذه الأعمدة فى تصورهم هى التى سوف تصعد منها

الروح إلى السماء ، حيث الأرواح الطيبة . . فهذه الأعمدة تشبه الصواريخ التى تحمل سفن الفضاء بعيدا عن الأرض ، وكذلك الطبول والأصوات المصاحبة لها يجب أن تكون قبيحة حتى تهرب الشياطين لا من الجنازة فقط ، ولكن من المنطقة كلها . . وتظل الحفلات طوال اليوم . . وبعض الذين يشيعون روح السيدة الطاهرة يتساقطون من الإعياء أو من الجوع أو لأنهم يتعاطون سوائل مهدئة أو سوائل تدفع إلى الهلوسة . . كأن المشيعين يريدون أن يموتوا فلا يتركون روح السيدة تذهب وحدها إلى العالم الآخر . . وكلما انهار الناس أو كلما زاد عددهم كان ذلك دليلا على مدى حبهم لها . . أو مدى حرصهم على مشاركة الزعيم فى الحزن عليها . . وبعض الناس بدلا من أن يجعلوا الجنازة سيرا على الأقدام فإنهم يمشون فى المحيط . . حتى تصل المياه إلى أعناقهم . . ثم إلى أفواههم ويظل الواحد منهم كذلك حتى تغرقه المياه ويموت . .

ومن عاداتهم الغريبة أيضا أنهم يستخدمون أسلحة حادة لتوسيع المسافة بين الأسنان . وذلك لأن الشيطان يسكن بين هذه الأسنان ، فإذا وسعوا ما بين الأسنان سقط الشيطان فابتلعوه . وهكذا لا يجد مكانا فى الفم . . وهذا ما يفسر لنا أن معظم أسنانهم قد تآكلت . . أو اختفت تماما!!

أذكر أن أهل الجزيرة من المسلمين عرفوا أننى قادم من مصر فطلبوا إلى أن أصلى بهم وأن أخطب الجمعة . وبعد صلاة الجمعة وعلى الغداء سألونى : كيف يفكر الكفرة من الأمريكان والروس فى إنزال جسم على سطح القمر ، أليس هذا كله حراما ، ثم ماذا

يحدث إذا أدت هذه الأجسام التى يبعثون بها إلى كسر القمر . . وأصبح القمر فتافيت . . ألا يؤدى ذلك إلى نهاية الليالى القمرية الجميلة وإلى ظلام الأرض؟! ومن النظر إلى عيون الناس وغضبهم وخوفى وخوفهم أن تقوم القيامة بسبب هذه الأعمال الكافرة التى يقوم بها الأمريكان والروس ، كان جوابى : أن هذا حرام . . وإن كان تحطيم القمر الذى هو عبارة عن طبق بنور يدور فى السماء يحتاج إلى أجسام أكبر من الأجسام التى يبعثون بها . واستراح الناس إلى رأيى وظنوا أن الذى قلته هو رأى ملايين المسلمين فى مصر! وهنأ العلماء أنفسهم لأنهم قد فهموا كل شىء على أصوله!!

إنه لا يحبها!

رأيت عجبا على شبكة «سى . إن . إن» . . طفلا فى المحكمة يقول : لا أريد أمى . . ولا أريد أن أرتبط بها . . وأرفض الاسم الذى اختارته لى . . وأختار لنفسى اسم واحد صاحبى . .

وسأله القاضى : هل تعرف معنى الذى تقول؟

قال الطفل : نعم .

– هل تعرف معنى أن يتبناك رجل وامرأته؟

– نعم .

– هل تعرف أنك سوف تنتقل إلى أسرة أخرى . . وترتبط بأسرة أخرى . . وتغير الغرفة التى تنام فيها . . والجيران والأصدقاء . .

– نعم .

– هل أنت نادم على ذلك؟

– أبدا .

– ولا يهمك أن تبكى أمك على فراقك؟

– إن أمى لم تفرح بوجودى . . إن أمى لم تذكرنى . . لم تبعث لى ببطاقة يوم عيد ميلادى . . ولا يوم رأس السنة . . ولا تذكرتنى مرة واحدة فى السنوات الماضية . .

الحكاية؟

الحكاية أن طفلا أمريكيا فى الثالثة عشرة من عمره لا يجد أمه فى البيت . . فهى تتعاطى المخدرات وهى منحرفة السلوك . . فترك لها البيت . . وأقام فى الشوارع وفى بيوت الأصدقاء ، ولكن أمه لا تبحث عنه فاهتدى إلى أسرة غنية محرومة من الأولاد وطلب إليهم أن يعيش معهم . . ابنا لهم وعاش سنة سعيدة ونصحوا الطفل أن يطلب من المحكمة أن توافق على انتقاله نهائيا إلى أسرة أخرى ، ويكون الانتقال قانونيا وذهب الطفل وأمه وأبوه . . والأسرة التى تبنته . ولم يشأ الطفل أن يلقى نظرة واحدة على أمه التى تبكى فى المحكمة . . تبكى على أنها مريضة . . مدمنة . . وأنها عجزت تماما عن أن تكون أما للطفل . . وأنها سوف تبقى كذلك وقتا طويلا حتى يتم شفاؤها . وأعلنت فى المحكمة أنها عندما تعود إلى حالتها العقلية العادية سوف تطلب إلى ابنها أن يعيش معها .

فعاد القاضى يسأل الطفل : ما رأيك؟

– لا معنى لما تقول هذه السيدة التى لم أشعر ناحيتها بأى حب . . إننى محايد تماما . . لا تربطنى بها أية صلة من أى نوع . . فلا هى أمى ولا خالتى ولا جارتى . . ولا أى شىء . . لم أجدها إلى جوارى فى أى وقت . . وسأله القاضى : وبكاؤها هذا؟

– يا سيدى إنها تبكى على حالها فقد كان من الممكن أن تكون أفضل . . إنها ذكية . . جميلة . . أما الآن فهى مريضة مسكينة . . ولو كان عندى أى شعور ناحيتها لمزقت نفسى حزنا عليها . . ولكن مع الأسف لا أكن لها أى نوع من المشاعر!

وأنا قد رأيت فى أستراليا طفلا ذهب إلى البوليس يقول : إن والدى ضربنى قلمين أمام زملائى!

وفى صباح اليوم التالى كان البوليس فى بيت الطفل يطلب من والده أن يذهب للبوليس ليحقق معه فيما نسبه الابن إلى أبيه . . فليس للأب حق فى أن يضرب ابنه . . ومن واجبه ومن حقه أن يوجهه أما الضرب والإهانة والإذلال فليس من حق والده ولا أى إنسان . . فإذا اعترف الأب بأنه ضرب ابنه ، فلابد من فصل الولد من أبيه . . إلا إذا اعترف الأب كتابة ألا يعود إلى هذا الفعل الشنيع . . ورأيت أبا عربيا يقول للبوليس فى مدينة سيدنى : إن هذا ابنى ومن حقى أن أضربه وأن أقطعه ألف قطعة . . فقال وكيل النيابة ليس من حقك . . وإذا عدت إلى ذلك فسوف أضعك فى السجن . . وليس من حقك أيضا أن تضرب كلبا أو قطا ، وإلا كان عقابك قاسيا! وفى نهاية جلسة المحكمة الأمريكية ذهب الطفل إلى والديه الجديدين . . وترك أمه دون أن ينظر إليها . . وبقيت الأم تبكى وتقول : ابنى معه حق . . لم أشعره بوجودى يوما واحدا . . إننى أستحق هذا العقاب من ابنى ومن كل الناس!

قلة ذوق!

أسخف صورة لهتلر ودليل على قلة الذوق وقلة الأدب ذلك الإعلان الذى نشره التليفزيون المصرى عن الشاى الإنجليزى فقد نشروا فيلما لإحدى خطب هتلر وسط الملايين الألمان . . بينما وقف رودلف هيس نائب هتلر يقول : زيج . . ويرد الشعب : هايل .

أي : النصر ويقول الشعب : يعيش .

حينما يظهر إعلان عن الشاى الإنجليزى الذى لولاه ما انتصر الحلفاء فى الحرب - إنها إهانة جارحة للشعب الألمانى الذى لا يستطيع أن يتنكر لماضيه ولزعيمه الذى هز الدنيا وأخطأ . . ولكنه زعيمه وقائده يوما ما .

وهاجمت الإعلان السخيف وتساءلت : ماذا نفعل لو أنهم أتوا بأحد زعماء مصر يخطب فى التليفزيون الألمانى إعلانا عن نوع جديد من علف الماشية!

وصدر قرار بحرق هذا الإعلان؟

فى نفس الوقت تظهر النازية الجديدة وعلامة الصليب المعقوف والتحية النازية المعروفة . . والدعوة إلى طرد الأجانب من ألمانيا . . والتعصب إلى كل ما هو «جرمانى» . . لقد أصبحت ألمانيا قوة اقتصادية جبارة . . وقوة سياسية أيضا . . ولولا ذلك ما اتحد نصفا

ألمانيا شرقا وغربا . . وقد دفعت ألمانيا كثيرا جدا من أجل هذا التوحيد . . ألوف الملايين لروسيا وفى نفس الوقت بناء لمساكن القوات الروسية العائدة إلى بلادها . . بعض شركات المقاولات المصرية تعمل من داخل الشركات الألمانية . . وفى ظروف جوية باردة صعبة جدا . .

وأوروبا خائفة من النهضة الألمانية . . والساسة الألمان خائفون أيضا من المد الوطنى العنيف . . وخائفون أيضا من العداء لهم فى كل الدول الأوروبية .

وفى نفس الوقت بدأ الكلام من جديد عن هتلر . . كيف مات . . وهل صحيح أنه انتحر؟

وهل صحيح أن جثته تحولت إلى رماد . . ولم يهتد أحد إلا لفكى هتلر تحت أنقاض دار المستشارين فى برلين . . هل صحيح أن ستالين كان حريصا على نقل جثمان هتلر وعلى إخفائه فى مكان ما فى روسيا؟ وهل صحيح أنه هو الذى انتحر . . أو أنه رجل شبيه به . . فقد كان من عادة هتلر أن يدفع بشبيهه إلى أماكن كثيرة .

وفى أرشيف المخابرات الروسية صور وأفلام عن الأيام الأخيرة لهتلر . . ولا أحد يعرف إن كان فيلما حقيقيا أو مفبركا للرجل الشبيه بهتلر .

إنهم فى أوروبا يقلبون الماضى ويبحثون بعقليتهم العلمية عن حقيقة ما حدث فى ألمانيا وفى أوروبا كلها . . والأمريكان يريدون أن يعرفوا أيضا كيف دبر الروس لاغتيال كيندى . . ونحن فى مصر

نتمنى أن يقول لنا أحد كيف اغتيل أنور السادات هل هم الأمريكان أو هل هم الروس؟

إن اجتهادات المؤرخين فى ألمانيا يؤكدون أن هتلر لم يكن مخطئا فى كل حساباته . . وأن الصورة التى قدمها الأمريكان والإنجليز لهتلر كانت ظالمة . . وأنه قد حان الوقت لإنصاف الرجل العظيم . . فى هذا الوقت يصدر إعلان فى مصر للسخرية من زعيم الألمان الذين يتطلعون إليه بالإعجاب العظيم .

إن أرشيف المخابرات الروسية والمخابرات الألمانية «الشرقية» سوف تكشف لنا عن حل لألغاز عديدة فى ألمانيا وفى الشرق الأوسط .

خدعة السادات!

لم أكتب سطرا واحدا بمناسبة ذكرى حرب أكتوبر . . لا لأن المناسبة لا تستحق . . بل تستحق الكثير جدا من التعظيم والتكريم . . ولكن أنا كتبت كثيرا عندما كان من يذكر كلمة أكتوبر خائنا ومن يذكر اسم السادات عميلا . . ومن يذكر النصر المصرى على أنه حل انفرادى واستسلام لإسرائيل . . وأن هذه الحرب لم تكن إلا تمثيلية ونحن نتستر على هذه الجريمة . . وأن السادات قد قصر كثيرا وأهمل فى حق مصر والأمة العربية . . لأنه انفرد بالحل والصلح مع إسرائيل . كان فى استطاعته أن يسترد كل الأرض المحتلة وأن يحتل إسرائيل ويلقى بها فى البحر . . وأمريكا أيضا؟

وراحت الأيام وجاءت الأيام تثبت أن مصر لم تفعل إلا ما تتمنى أن تفعله جميع الدول العربية . . تطلب الحرب علنا والسلام علنا .

ويوم طلب السادات إلى منظمة التحرير الفلسطينية أن تجلس إلى جواره تحت العلم الفلسطينى وتتفاوض . رفضوا وقالوا : خيانة . .

وقد أخطأت منظمة التحرير عندما لم تجلس بكرامة وشرف تطلب وتشترط فقد كانت إسرائيل سوف تعطيها الثمن لمجرد أنها وافقت على الجلوس تحت العلم . . أى ثمن .

وأخطأت منظمة التحرير مرة أخرى عندما جلست مع إسرائيل فى المفاوضات الأخيرة . . أخطأت لأنها جلست بلا ثمن . . ولكن

لا حل إلا بالمفاوضة وإلا بالجلوس معا . . وإلا بما فعله أنور السادات . . واليوم نقول : إن السادات كان حكيما وكان بعيد النظر .

قال لى الرئيس السادات : لقد استعدنا سيناء . . لأن إسرائيل يحكمها الشارع . . الشارع الإسرائيلى هو الحاكم الفعلى . . وشارعهم ليس مثل شارعنا . . فشارعنا يأتى بالناس من أعمالهم فى اللوريات ويتركهم يهتفون . . وشىء آخر أقوله لك وللتاريخ «وراح ينظر إلى السقف» إن بيجين قد غلط غلطة عمره . . ولو كنت منه لرفضت زيارة السادات .

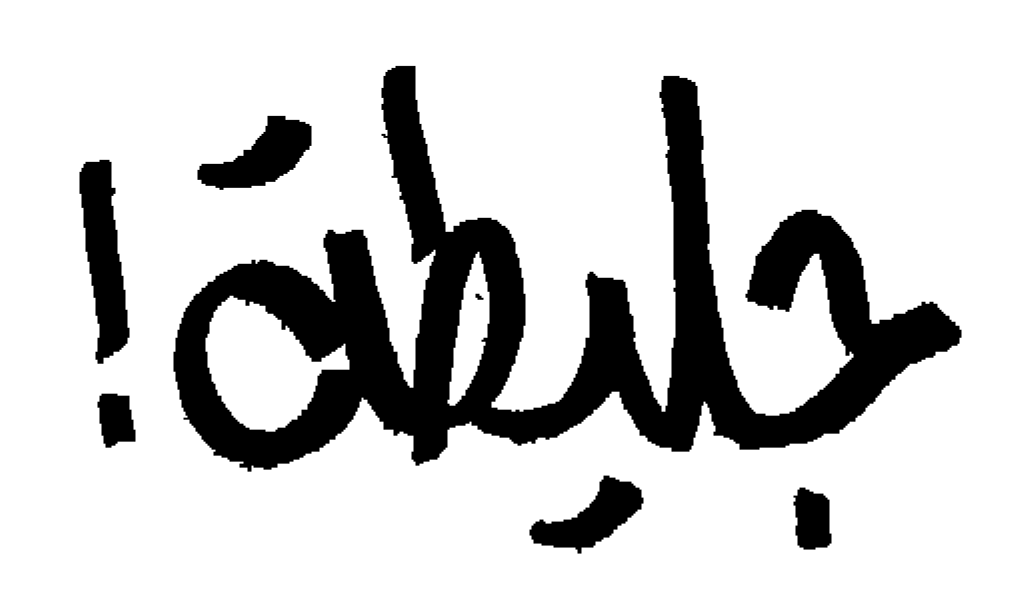
وفى هذه الحالة كانت القضية سوف تتأجل مائة سنة أخرى . . فهو لم يتوقع أن أوافق على دعوته لزيارة القدس . . هو تصور أنه يحرجنى إذا دعانى ، فأنا أحرجته بالموافقة . . وكانت هذه غلطة عمره!

قال وزير الدفاع الأسبق عيزرا فايتسمان : إن بيجين مريض فى بيته لا حزنا على زوجته ، ولا حزنا على الدماء فى صابرا وشاتيلا . . ولكن لأن السادات ضحك عليه وخدعه فأعطاه سيناء بلا مقابل . . وبيجين رجل صهيونى مائة فى المائة كان يحلم بإسرائيل الكبرى . . فحرمه السادات منه .

وقد كتبت ما قاله عيزرا فايتسمان وبيجين مازال حيا . . ولم يرد بيجين .

ولم يعلق عيزرا فايتسمان رغم أن الصحف الإسرائيلية والإذاعة والتليفزيون قد نشرت ما كتبت!

ولذلك لم أكتب سطرا لأن الكتابة عن حرب أكتوبر لم تعد تدل على الشجاعة والجراءة والتعصب للحق . . ولكن الكتابة الآن ليست إلا تجاوبا وصدى للرأى العام فى مصر وفى العالم العربى .



العلاقات بين بريطانيا وألمانيا ليست على ما يرام . ففى يوم ٣ أكتوبر كان العلماء الألمان قد استعدوا للاحتفال بمرور خمسين سنة على إطلاق أول صاروخ . . نزل بالألوف على مدينة لندل فقتل الألوف . . وكان أول صاروخ اسمه «ف-١» كان صغيرا وكان له شكل الطائرة التى لا يقودها طيار وكان يعتمد على محرك نفاث . ولم يكن دقيقا فى إصابة الهدف .

ولكن يوم ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢ أطلق الألمان صاروخا آخر «ف-٢» يزن طنا وطوله ١٤ مترا ينطلق بسرعة أكبر من خمسة آلاف كيلومتر فى الساعة . ولم يكن أحد يستطيع أن يراه أو يعترضه كما كانت تفعل الطائرات البريطانية المقاتلة مع الصاروخ الأصغر . وكان «ف-٢» ينطلق بالوقود السائل وكان دقيقا فى إصابة الأهداف رغم هذه السرعة الهائلة!

ولم يكد الألمان يعلنون عن هذه الاحتفالات بمناسبة افتتاح متحف صغير فى جزيرة بنيموندة فى بحر البلطيق ، حتى ثار بعض الألمان وثار الإنجليز أيضا ، وأعلن ونستون تشرشل حفيد الزعيم تشرشل بأن الدول المتحضرة لا تحتفل بذكرى أسلحة الدمار .

وهنا قرر العلماء الألمان أن يكون الاحتفال علميا دون مساهمة الحكومة . ويوم انطلق الصاروخ لأول مرة كان من تصميم العالم فرنرفون براون . وقد سأله مدير هذا المشروع الجنرال دورنبرجر : هل تعرف ما الذى أنجزناه اليوم . . إن هذه أول خطوة فى رحلات الفضاء!

وكان الجنرال على حق .

والتفكير فى الرحلات الفضائية بدأ سنة ١٩٢٠ عندما أقام عدد من العلماء الألمان جمعية اسمها «جمعية الرحلة إلى الفضاء» . وكان هؤلاء العلماء يفكرون جديا فى السفر إلى الفضاء الخارجى ، وقد صمموا عددا كبيرا جدا من الصواريخ . وقد انضم الطالب فرنر فون براون إلى هذه الجمعية ، ولكن بعد أن حصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة برلين سنة ١٩٣٤ تفرغ تماما لرسم هذه الصواريخ . . وهو صاحب الفضل فى إطلاق أول صاروخ .

وعندما زحفت قوات الحلفاء على ألمانيا تسابق الروس والأمريكان إلى منطقة الصواريخ . . واستولوا على بضع مئات منها كانت معدة للانطلاق . . وأهم من ذلك استولوا على العلماء الألمان ، فكان فون براون ومائة من العلماء من نصيب أمريكا . . نقلوهم فورا إلى أمريكا وطلبوا إليهم أن يعملوا فى إتمام مشاريعهم فكان الصاروخ جوبتر . . وغيره من الصواريخ التى ساعدت الروس فى الدوران حول الأرض . . وهو الصاروخ الذى أنزل أول أمريكى على سطح القمر .

وإذا كان من قلة الذوق أن يحتفل الألمان بصواريخهم فقد كان من الجليطة أيضا أن يحتفل الإنجليز بإقامة تمثال لماريشال الجو البريطانى الذى أباد مدينة درسدن . ولكن الإنجليز احتفلوا بإقامة التمثال فى هدوء - وكذلك فعل الألمان عندما افتتحوا المتحف الصغير .

ولما توفى العالم الألمانى فرنر فون براون رثاه الرئيس كارتر فقال : إن الدور العظيم الذى ساهم به فرنر فون براون من أجل الوصول إلى القمر لا يمكن إنكاره . . وكذلك فإن أفكاره هى التى ساعدت دولا كثيرة على الارتفاع فى الفضاء الخارجى فى طريقها إلى الكواكب الأخرى!

هذا العالم الكبير فون براون قد أساء إلى مواطنيه عندما ظهر فى التليفزيون الألمانى ، رفض أن يتكلم بالألمانية وإنما تكلم بالإنجليزية . . لأنه قد حصل على الجنسية الأمريكية!

أما هتلر فقد أطلق على هذا الصاروخ : صاروخ الانتقام من الإنجليز ومن غيرهم .

واليوم يشعر الإنجليز أن صاروخا آخر قد أطلقه الألمان عليهم : هو المارك الذى أسقط الجنيه الاسترلينى إلى الحضيض!

النتائج ليست مشجعة !

العالم يتزايد سكانه عاما بعد عام ، ورغم تحذيرات العلماء والساسة من الجوع الذى من الممكن أن يطحن العالم ، ورغم المجاعات الموجودة فى أفريقيا ، فإن دولا كثيرة لم تفلح فى تنظيم النسل أو تحديد عدد أفراد الأسرة .

والعالم كله يتطلع إلى الهند والصين ، فالهند (٨٨٣ مليونا) لم تفلح فيها كل وسائل منع الحمل أو تنظيم الأسرة أو تحديد عدد أفراد الأسرة الواحدة إلى الحد الأدنى .

ففى الهند يولد ١٨ مليون طفل كل سنة .

وفى الهند حوالى مائتى مليون نسمة عند حافة الفقر والجوع . . ومن الممكن أن يتزايد عدد الجياع وعدد الموتى من الجوع أيضا ، أما الأسباب التى منعت الهند من إنقاص عدد أفراد الأسرة فهى أن وسائل الترشيد والتوعية ليست كافية وكذلك ضوابط الحمل والولادة .

أما الصين فعدد سكانها ١١٥٦ مليون نسمة . . وقد اتبعت الصين سياسة طفل لكل أسرة ، ولكن هذه السياسة لم تنجح أيضا ، فلا تزال العائلات الصينية تحتفظ باثنين وثلاثة من الأطفال ، وقد

أمكن الضبط والربط فى المدن . أما فى الريف حيث يعتبر الطفل (أداة إنتاج) فإن كل وسائل تنظيم النسل لم تلق أى إذن صاغية .

وفى سنة ٢٠٣٥ سوف يصبح عدد سكان الهند والصين حوالى ١٥٠٠ مليون نسمة تضاف إلى عدد سكان الكرة الأرضية البالغ ٥٤٠٠ مليون نسمة .

ونحن فى مصر ننشر فى الإذاعة والتليفزيون تنبيهات إلى الحد من عدد أفراد الأسرة ، ولكن النتائج ليست مشجعة تماما ، على الأقل فى الريف ، فالفلاح يكسب الكثير من وراء أولاده . . فالطفل فى العاشرة من عمره إذا عمل فى الأرض يكسب أكثر من مائة جنيه شهريا أى ما يعادل مرتب خريج الجامعة . . فإذا كان عنده ثلاثة أو أربعة من الأطفال أو الشبان فسوف يتجاوز دخله الألف جنيه يبنى بها بيتا ويشترى أرضا وبهائم ويعدل دماغه بالجوزة والشيشة وقد يتزوج فتاة أخرى غير أم العيال!

أذكر أننى كنت مسافرا إلى الإسكندرية بالطريق الزراعى وكنا نتناقش -المرحوم يوسف السباعى وأنا- عن تحديد أفراد الأسرة وعن كيف يمكن إقناع الفلاحين بذلك ، واختلفنا فرأينا أن نتوقف عند قرية ونسأل أحد الفلاحين عن رأيه ، سألت فقال لنا : الحمد لله كل شىء تمام . . الإصلاح الزراعى تمام . . ربنا يخلى الرئيس عبد الناصر . . يا سلام . . الواحد دلوقت عنده فلوس . . وعنده حرية يشترى بيتا أو أرضا . . يا سلام . . الناس كلها سعيدة ربنا يخلى لنا الرئيس . . وأنا كان نفسى يكون عندى عشرة أولاد . . ولكن مادام الرئيس أمر . . فأنا توقفت عند الطفل السادس .

وسكت قليلا ثم نظر إلينا وهو يقول : مش انتم برضه بتوع التليفزيون؟

ومعنى ذلك أن كل الذى قاله هذا الرجل كذب فى كذب . . فهو لم يقل ما قال إلا لأننا نعمل فى التليفزيون وسوف ننقل ما قاله للسيد الرئيس جمال عبد الناصر! فلما قلت له : أبدا نحن لا نعمل فى التليفزيون وإنما نحن نعيش فى أمريكا وجئنا لزيارة أقاربنا هنا . فقال الرجل : اكده . . أهوه انتم شايفين كل حاجة . . الحياة صعبة جدا يا سعادة البيه . . حنموت من الجوع . . يعنى لو كانش الواحد عنده كام عيل . . كنا نموت من الجوع أنا وأم العيال . . أهى أيام نقضيها لحد ما ييجى أمر الله!

ومطلوب منا ألا ننقل هذا الكلام للسيد الرئيس . . وإنما نسمعه ونعود إلى أمريكا . . فالرجل غير مقتنع بتنظيم النسل . . لأنه يعيش من كد وعرق هؤلاء الأطفال وسوف يزداد عدد سكان الأرض حتى يموتوا جوعا . . أو يموتوا حربا!!

الجميلة: جرسونة!

فاز بجائزة نوبل فى الأدب شاعر من جزر الكاريبى اسمه ديريك ولكوث «٦٢ سنة» ولم يكن يتوقع أن يفوز بهذه الجائزة ولا حتى كان يحلم بذلك ولكنه فى كثير من الأحاديث التى أجريت معه كان يتمنى أن يعيش ويموت شاعرا يتغنى بالجمال والفن والحرية فهو مهاجر إلى اللغة الإنجليزية وعاشق لها . . وقد اشتغل بتدريس الأدب الإنجليزى فى بلاده ، وفى أمريكا أيضا .

ويوم أكمل أول ديوان له أعطته أمه مائتى جنيه لينشر الديوان على حسابه وقد آمنت أمه بعظمته الشعرية فهى الأخرى كانت تدرس اللغة الإنجليزية وكانت تدرس الحياكة أيضا وكان يداعب أمه قائلا : أنت طبعا تتحمسين لابنك لأنه قد رضع منك الشعر . . وكان ولكوث يقول : إننى لست فردا إننى أَمة . . يقول :

لست إلا زنجيا أحمر

تلقيت تعليما استعماريا معقولا

ودمى هولندى زنجى إنجليزى

فإما أن أكون لا أحد

وإما أن أكون شعبا!

ولا يجد ولكوث حرجا فى أن يقول أنه زنجى وأنه أفضل للزنوج أن يقبلوا هذه الحقيقة بدلا من أن تمتلىء نفوسهم مرارة ولا يفكرون إلا فى الانتقام وإذا كان الانتقام هو أعمق مشاعرهم فلن يتقدموا ولن ينضجوا . . لقد كنا زنوجا ولا نزال ولكن يمكن التفوق والتغلب عن عقدة اللون ، ويقول : قد استطعنا ذلك وتفوقنا على كثير منهم - أى من البيض!

وقد ولد ديريك ولكوث فى جزيرة سانتا لوثيا فى بحر الكاريبى وانتقل منها إلى العاصمة «تريتدا» ثم إلى نيويورك ليدرس على نفقة مؤسسة روكفلر واشتغل بالتدريس فى جامعات عديدة . وأسس ورشة مسرحية وعلى مسرحها ظهرت الأعمال الكلاسيكية الرائعة لشكسبير وغيره من الشعراء . . وظهرت أيضا أعمال شابة وموسيقى صاخبة .

أما هو فقد أصدر تسعة دواوين وعددا كبيرا من المسرحيات وقد وصفه بعض النقاد بأنه شاعر الإنجليزية العظيم . .

ولكنه مثل كل الشعراء الكبار أو الفنانين الكبار كان موضعا للنقد من كثيرين فأنصار المرأة أكدوا أنه عدوها اللدود وأنه يصفها كما كان يفعل القدماء باعتبارها مصدر الشر والرذيلة فى هذه الدنيا!

وأهله من الزنوج وصفوه بأنه رجل سلبى استسلامى وأنه لم يقاتل من أجل السود وإنما اكتفى بأن طلب منهم أن يقبلوا الوضع الراهن وأن يقبلوا ظهر اليد وليس بطنها . . فاللون الأسود واضح فى ظهرها!

وفى سنة ١٩٩٠ أصدر ملحمته الشهيرة «هوميروس» وفى هذه الملحمة أعاد صياغة ملحمتى الأوديسا والألياذة . . ولكن بلغة عصرية فجعل كل أبطال الملحمة الإغريقية القديمة صيادين فى بحر الكاريبى . . أما هيلين الشقراء التى من أجلها قامت حرب طروادة فقد جعلها جرسونة فى أحد الملاهى ثم جعلها مطربة تغنى مع «الخنافس» فهو لم يطلق سراح هؤلاء الأبطال من سجن هوميروس وإنما أعاد توظيفهم فى البحر الكاريبى وفى الجزر الدافئة وجعل لونهم أسود ، لقد أصبحوا مواطنين يتكلمون لغته ويستعيرون أسلوبه فى الحوار والدفاع عن الحرية والكرامة دون أن تكون لديهم رغبة فى الانتقام بسبب ما لديهم من شعور بالهوان وبأنهم عبيد . . وقد حصل على جائزة نوبل «مليون دولار ومائة ألف» لأنه شاعر موسيقى قصائده سيمفونيات ولأنه يتسم بالصفاء والنبل وحب الحياة والسلام بين الناس من كل لون ولغة ودين .

الموقف صعب!

الأميرة ديانا ، لا هى أختى ولا أختك ولا ابنتى ولا ابنتك ولا تمت لأحد منا بأية صلة ، ولكن لأنها حلوة وطيبة ومحبوبة من ملايين الأصحاء والمرضى ، حزينة . . مسكينة . . عندها كل شىء إلا الحب الذى تعطيه لكل الناس ولا تجده من زوجها . . فهذا الحزن على وجهها والدموع فى عينيها ، تهز قلب الحجر . . وتنطبق عليها الحكمة الشعبية : أن الحلو لا يكمل . . وأن الله يعطى شيئا ، ويحتجز شيئا آخر . .

ثم إن الأميرة ديانا قد هزت قلوب ملايين الشباب فى الدنيا . . فهى أميرة أحبت وأحبها ولى العهد . والناس فى الدنيا يحبون الذين يحبون . ولأن الحب نادر فى هذه الدنيا ، فالناس ينظرون إليها على أنها تعويض لهم عن انعدام الحب . .

وفى نفس الوقت يشعر بعض الأشرار بالشماتة فيقولون : هل من المعقول أن يكون عندها كل شىء : الجمال والمال والحب والعرش . . إما كل هذا وإما الحب . . ما هذا الطمع . . إن كل شىء فيها يغيظ . . يكفى الجمال . . يكفى المال . . يكفى العرش . . يكفى أن لها ولدين . . أعوذ بالله ، ولكن بعض الناس يقولون ذلك . .!

وقد صدرت كتب كثيرة تتحدث عن تعاسة الأميرة . . وسبب التعاسة أن هناك فوارق كثيرة بينها وبين زوجها . . ليس فى السن فقط . . ولكنه أمير ابن ملك ابن ملك . . وأن القصر الملكى سجن من ذهب . . وهى تتمرد على هذه القيود . . ثم إن الأمير يهجرها إلى صديقاته القديمات . . وأنه لم يتخل عن حياة الليل تماما كالأمير فيليب والده . . وكل من أخيه وأخته وعمته وخالته!

والأميرة ديانا من عائلة عريقة ، بل إن عائلتها أعرق من عائلة زوجها . .

وأخيرا تحدث أخوها الإيرل اسبنسر (٣٩ سنة) ، فقد أجرت معه مجلة «هالو» حديثا فى ثلاثين صفحة بالصور له ولها ولهما معا ، قال أخوها : إن أختى إنسان نادر فى هذه الدنيا . . ففيها الحب والحنان والأنوثة . . وحرام أن تعطى الناس الحنان والرحمة . فإذا عادت إلى البيت لم تجد شيئا من ذلك!

وقال : إنه لا توجد فتاة فى هذه الدنيا تستطيع أن تعطى الحب كثيرا ، أختى فقط ، لا تستحق كل هذا العذاب . . وقال : إننى أعطيت الذين ألفوا كتبا عن حياتها كل قصص طفولتها . . ونشروها جميعا بمنتهى الأمانة والدقة ، ولكن فى هذه الكتب حكايات عن أختى لا يعرفونها . . وقال : لقد تقطع قلبى عندما رأيت صورة أختى وهى تبكى!

وتحدث عن طفولته المعذبة . . فقد تزوج أبوه سيدة أخرى غير أمه . وأدخله المدرسة الداخلية وهو فى الثامنة من عمره . . وله ذكريات أليمة فى هذه المدرسة . . ولم تكن بينه وبين زوجة أبيه

أية علاقة ودية . . وكان إذا أخطأ وهو صغير أو أخطأت ديانا ، فإن جدته كانت تضرب رأسه فى رأسها . . أو تضرب رأسه فى الحائط . .

وأخو ديانا تزوج من عارضة أزياء وله ثلاث بنات ، وهو لن يدخل بناته المدرسة الداخلية إلا عندما يبلغن الحادية عشرة ، وقال : إن المدرسة الداخلية هى اللعنة التى تصيب أبناء الطبقة المتوسطة أو الغنية فى بريطانيا . وإنها أسوأ ما يصاب به الأطفال . وإنه عندما ينظر وراءه إلى أيام المدرسة فإن شعر رأسه يقف!

وهو يطلب أخته تليفونيا كل يوم من أى مكان فى العالم : إنه يتمنى لو يستطيع حمايتها وتعويضها ، ولكن موقف أخته الأميرة زوجة الأمير أم ملك المستقبل لا يزال صعبا معقدا . . ولذلك فهو يحاول أن يخفف عنها ولكنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك مع الأسف!

اقتلني؟

التليفزيون البريطاني يذيع الآن مسلسلا عن الزعيم الكوبي كاسترو . . ومحاولة المخابرات الأمريكية اغتياله ، ولم تجد المخابرات الأمريكية سوى عشيقة قديمة استولت عليها وغسلت مخها ودفعتها إليه . . أما العشيقة فهي ماريتا لورنتس -٣٥ سنة- حدث ذلك من ثلاثين عاما ، فماريتا هذه ابنة قبطان بحرى ألمانى لباخرة اسمها برلين . . كانت الباخرة بالقرب من كوبا ، عندما فوجئت ماريتا بزورق مسلح يتوسطه رجل طويل عريض . وقد اقترب الزورق من السفينة فقال كاسترو : أريد أن أتفرج على هذه السفينة . نحن كوبيون .

فقالت : ونحن ألمان . .

- أنا اسمى فيدل كاسترو .

- وأنا اسمى ماريتا لورنتس ابنة القبطان ، وهو نائم الآن وأنا أتولى عمله . .

- نريد أن نتفرج على السفينة الجميلة .

- لا مانع ولكن يجب أن تتركوا السلاح فى الزورق . .

وجاء كاسترو وانبهرت هي به جدا . . وكان شديد الالتصاق بها أينما ذهبت . . طلعت . . نزلت!! وتضايقت ولكنه كان أول رجل في حياتها يفعل ذلك . . ونزلت به لكى يتفرج على الأجهزة

وغرفة الطعام . . واستأذنت لكى تغير ملابس البحارة وترتدى ملابسها العادية ، وذهبت إلى غرفتها . . وخلعت ملابسها وقلبت شعرها . . وفوجئت بطرقات على الباب . . وإحدى الجرسونات تقول لها : إن الرجل يريد أن يتفرج على غرفتك . .

وفتحت الباب ودخل كاسترو وأغلق الباب وراءه . . وهو ذئب مدرب ولكنه لطيف . . وتعلقت به ، وأحبته . .

وعندما عادت إلى نيويورك إلى شقة أخيها الذى يعمل مترجما فى الأمم المتحدة ، فوجئت بجرس التليفون وكان المتحدث كاسترو يدعوها إلى كوبا . . وأن طائرة خاصة سوف تنقلها فورا ، وجاءت الطائرة وسافرت إلى كوبا . . وكان كاسترو يحتل طابقا فى فندق هيلتون . . وأقامت طويلا وعرف الناس جميعا أنها معشوقته .

واتصلت بها المخابرات الأمريكية واستولت عليها وأقنعتها بأن تقوم بعمل وطنى من أجل أمريكا كلها وذلك باغتيال هذا الرجل . . وزودتها بحبوب مهدئة من مادة توتولينم التى تقضى على الأحبال الصوتية بالشلل فلا يسمعه أحد إذا طلب الاستغاثة . . ولكنها أحبت الرجل ولم تشأ أن تقتله . .

وحملت منه ونقلها إلى المستشفى أحد رجال كاسترو وهو فى نفس الوقت من رجال المخابرات الأمريكية . وولدت . . وأخفوا عنها الطفل وقالوا لها : إنه مات . . وعادت ماريتا إلى أمريكا ولم تعرف إلا بعد عشرين عاما أنه حى فى كوبا . .

وعادت إلى كوبا لترى ابنها . . وقابلت كاسترو ، وسألها إن كانت قد عادت لتقتله .

فقالت : نعم .

فأعطاها كاسترو مسدسه وقال لها : اقتليني . .

ولكنها لم تستطع وطلبت منه فقط أن ترى ابنها ، فوعدها بذلك . . وأتى لها بابنها ورأته وسيما طويلا عريضا ، ويعمل طبيب أطفال ، ولم يكد يراها حتى قال : أهلا يا ماما . .

واحتضنت ابنها - وغادرت كوبا لتعيش فى أمريكا ، وتتصل به من حين إلى حين ، وتحدثت ماريتا عن سفالة وحقارة المخابرات الأمريكية التى تستولى على الإنسان وتجعله حيوانا . . ولابد أن تجد له نقطة ضعف لكى تفعل به ما تشاء . .

هذه المخابرات الأمريكية هى التى قتلت مارلين مونرو . . لأنها تحدثت عن الذى همس به الرئيس كيندى لها من أنه يفكر فى اغتيال كاسترو . . فاغتالوها واغتالوه هو أيضا!

وماريتا تعيش فى غرفة فوق سطوح إحدى العمارات فى نيويورك مع كلبها . وأبوها كان يقوم بتهريب اليهود الألمان إلى هولندا أثناء الحرب العالمية الثانية . . أما هى فقد دخلت معسكرات الاعتقال بلندن لأنها يهودية . .

وتقول ماريتا : إنها لا تعرف كيف نجت من سموم المخابرات الأمريكية ، ولكن لابد أنهم وجدوا وسيلة أخرى ، أو أن كاسترو قد احتاط فلم تعد أمريكا قادرة على اغتياله!

الصرب : وحوش !

ليس أبشع من الحرب بين الصرب والبوسنة . . بين المسيحيين والمسلمين . . إنها صورة أخرى للحروب الصليبية التى أهلكت أوروبا والشرق ولمئات السنين . . ولكن الصورة المعاصرة أعمق من بشاعتها . . فهى استئناف لكل أشكال العنصرية والطمع والعقد النفسية . . فالصرب تقتل الأطفال وتذبح الأمهات ولا تكف عن تجويع أهل البوسنة المسلمين . . وفى نفس الوقت تمنع عنهم الماء والكهرباء والطعام ، ولو استطاعت أن تمنع عنهم الهواء لفعلت . . وأقامت معسكرات الاعتقال البغيضة ، ولم نكن نعرف ذلك لولا أن الصحفيين الإنجليز هم الذين فضحوا الصرب أمام العالم كله .

ولم نكن نعرف أنهم يجدون لذة فى تعذيب مواطنيهم من المسلمين بهذه الصورة البشعة . . حتى القطارات التى كانت تنقل الأطفال المساكين إلى بيوت الإيواء فى إنجلترا وفرنسا وألمانيا قد نسفوها بهؤلاء الأبرياء . . وقد وعدوا بوقف النار ، ولكنهم لم يوفوا بهذا الوعد عشرات المرات . . وتم طرد هذه الدولة التى كان اسمها يوغوسلافيا من الأمم المتحدة ، فالدولة لم يعد لها وجود ، ثم إن العالم قد كره هؤلاء الوحوش اليوغوسلاف!

ولكن أبشع ما عرفنا أخيرا أن الصرب قد خطفوا مئات النساء وأقاموا لهن بيتا للدعارة -يتردد عليه الصربيون الوحوش . . ثم إنهم يعتدون على الفتيات الصغيرات .

وقد استطاع أهل إحدى الفتيات أن يدفعوا لها «فدية» . . وبعد أن دفعوا الفدية استردوا ابنتهم التى روت للدينا كيف هتكوا عرضها عشرين مرة فى اليوم الواحد . . وفى بعض الأحيان كانوا يعصبون عينيها فلا تعرف من الذى اعتدى عليها ولا أين ولا كم عددهم . . فقد كانت تصاب عادة بالإغماء الشديد ثم تصاب بأزمات معوية ومعدية وتفرغ ما فى بطنها دما . .

وقد حملت هذه الفتاة . . وأصر الصربيون على أن تلد طفلا صربيا . . وأن تلد كذلك مئات النساء . . ولكن استطاعت مئات النساء أن تساعد بعضهن البعض على الإجهاض . . أما هذه الفتاة فقد استطاع أبواها أن يجهضاها رغم مخالفة القانون -فقد كان الجنين فى شهره الخامس . . ولكن الفتاة أصرت على ألا تحمل من رجل صربى حتى او أدى ذلك إلى موتها!

وقد حكت هذه الفتاة للصحافة العالمية كيف أن بعض السيدات قد انتحرن . . وكيف أن بعض السيدات قد ساعدن على موت زميلاتهن بأشكال مختلفة ، لأن الموت أهون من هذا الهوان اليومى الذى لا رحمة فيه!

أبشع من ذلك روته هذه الفتاة واسمها مارتا . . أن الجنود كانوا يعتدون على الأطفال الصغار . . وكان الصغار يصرخون والأمهات

تبكى وتولول ، وكانوا يقولون لهم : أين القرآن الذى تدعون أنه ينقذ الإنسان من العذاب وأنه يحيى الموتى . . أين الرسول محمد . . أين ربكم؟ لماذا لا تنادونه لكى يخفف عنكم؟!

ولما دلت الفتاة مارتا قوات الأمم المتحدة على المكان الذى يدفنون فيه النساء معا بعد الاعتداء عليهن حتى الموت ، لم يجدوا إلا ترابا أسود . . فقد أحرقوا كل النساء!

وروت مارتا كيف أنهم يصطادون الفتيات . . فالجنود يرتدون ملابس أهل البوسنة ويحملون معهم الطعام ويعرضونه للبيع سرا . . فإذا اقتربت منهم فتاة أو طفلة فإنهم يسرعون بالانقضاض عليها ويعصبون عينيها ويتوارون بها وسط الغابات . . أو فى معسكرات الجنس بالإكراه . . فإذا قاومت فإنهم يطلقون عليها النار . . ثم يحرقون جثمانها . . ويعودون إلى اصطياد الفتيات الجائعات أو الممزقات الملابس .

تقول مارتا : إنها لن تنسى حتى الموت أن عددا من الجنود الصربيين قد اعتدوا على سيدة عجوز كانت تتوكأ على العصا . . والسيدة فى ذهول وعاجزة عن المقاومة . . ولم يتركوها إلا بعد أن ماتت!

إن صورة هذه السيدة العجوز المريضة لا تبرح خيالها فى نهارها وليلها - منتهى الوحشية التى لم نسمع ولم نقرأ عنها فى التاريخ!



استفتاء الرأى العام فى أمريكا هبط بشعبية الرئيس بوش . . ولذلك فالحزب الجمهورى يعتمد الآن على شعبية السيدة زوجته بربارة ، فلم يحدث أن أحب الشعب الأمريكى سيدة مثلها ومن عشرات السنين ، ولاتزال المرأة الأمريكية تفضل السيدة الأم والزوجة على السيدة القنزوحة والمتحررة زيادة عن اللزوم مثل هيلارى زوجة المرشح الديمقراطى كلينتون . . فأراؤها متحررة وحياتها وسلوكها أيضا . وهذا مالا يعجب الأغلبية الساحقة من نساء أمريكا .

وفى بريطانيا نجد أن زوجة جون ميجور رئيس الوزراء السيدة نورما لا تتدخل فى حياته ولا تتحدث فى السياسة . . وكل الذى حدث هو أنها لم تعد تراه ، فهو مشغول جدا . . وإن كان يسعدها نجاحه . ويسعدها أكثر أن تراه .

وكذلك زوجة المستشار الألمانى هيلموت كول . . فزوجته السيدة هانلوره لا يراها الناس إلا قليلا ، ومن النادر أن يعرف أحد رأيها فى أية قضية سياسية أو اجتماعية ، ولكن التى تظهر معه فى كل مناسبة هى سكرتيرته التى تحمل الأوراق والتى هى ذاكرته . . والتى يستشيرها فى كثير من آرائه .

أما السيدة دانيل ميتران زوجة الرئيس الفرنسى ميتران ، فلها حياتها الخاصة . . ولها طريقها وطريقتها فى الخدمة السياسية والاجتماعية . . فهى قد ذهبت إلى شمال العراق وكادت تموت بسبب انفجار قنبلة فى سيارتها . . ثم إنها ذهبت أيضا للقاء البوليساريو الثوار الانفصاليين فى المغرب . وقد تضايق الملك الحسن الثانى من موقف زوجة الرئيس ، رغم أنه يعلم أنها تتصرف من تلقاء نفسها . . فهى تعيش منفصلة عن الرئيس منذ وقت طويل .

والأمريكيون يعرفون زوجة الرئيس ريجان ، ويعرفون تصرفاتها الساذجة ، وخلافاتها مع رئيسا زوجة جورباتشوف . . وأخيرا عرفوا علاقاتها الغرامية مع عدد من نجوم السينما . . ثم يعرفون علاقتها بابنتها التى فضحتها وقالت أن أمها «مسطولة» طول عمرها وأنها لا تفيق من الحبوب المهدئة . . وأنها لذلك لا تعرف شيئا عن تربية أولادها!

وقد حاول الحزب الديمقراطى أن يرشح سيدة نائبة للرئيس فى مواجهة بوش نائب ريجان . واختاروا السيدة جيرالدين فرارو ، ولكن سرعان ما أسقطوها ، فقد أثبتوا عليها أنها حاولت أن تتهرب من الضرائب!

ولم يعرف الأمريكان سيدة فى طيبة قلب مامى أيزنهاور زوجة الرئيس أيزنهاور . . وفى نفس الوقت كان أيزنهاور يفكر فى طلاقها وزواج الفتاة الإنجليزية التى كانت تعمل سائقة له فى الحرب العالمية الثانية فى أوروبا . . وكل أصدقائه نصحوه ألا يفعل فسوف يهدم كل ما بناه!

وكذلك زوجة رئيس وزراء اليابان السيدة كيشى مايزاوا . . لا تظهر معه إلا نادرا . وإذا ظهرت فإنها لا تفتح فمها بكلمة فى أى شىء عام أو خاص . .

وربما كانت السيدة الأولى المثالية فى فرنسا هى زوجة الرئيس جيسكار ديستان . فقد أجرت معها المجلة الفرنسية «جوردى فرانس» حديثا طويلا ، أول عبارة قالتها هذه السيدة : أنا اسمى فقط حرم رئيس الجمهورية ، ولكن لا شأن لى بالجمهورية ولا حكمها ولا سياستها ، فهذا شأن الرئيس والرجال حول الرئيس! ولن يكون لى رأى معلن ما دام زوجى رئيسا للجمهورية فأنا لا أريد أن أكون عبئا عليه . ولا أريده أن يكون مسئولا عن أفكارى غير الناضجة وتجاربى المحدودة!

ولما سألوها : ولا حتى فى الأزياء؟

فأجابت : ولا حتى فى الأزياء والألوان . . فكيف أضمن ألا يفسر أحد ذوقى الخاص بأنه ذوق الرئيس . . فأنا زوجة الرئيس ويسعدنى أن أكون كذلك . . ويسعدنى أن الوقت المخصص لى فى حياة الرئيس قد أضافه إلى الوقت المخصص لخدمة الشعب!

حكاية غريبة!

فى نفس المكان أصابنى الفزع الذى عجزت عن وصفه . . حدث مرة أخرى . .

المرة الأولى عندما أُغتيل د . رفعت المحجوب كنت فى فندق سميراميس أشترى الصحف والمجلات الأجنبية . . وفجأة سمعت فرقعات . . لم أعرف أنها طلقات رصاص . . وفجأة وجدت الناس ينطلقون فى كل الاتجاهات . . ووجدت المكتبة التى أقف فيها قد أغلقت أبوابها وانطفأ النور . ونام الرجال على الأرض . . وكانت بيننا سائحة من كندا فى حالة انهيار تام ، وحاولت أن أتحدث إليها وأقول لها كلاما ، فكان كلامى سخيفا ، فأنا لا أعرف بالضبط ما الذى حدث . . فكيف أهدئ من مخاوفها أو حتى أهون عليها . . وكانت هى منطقية أكثر . . فقد رفضت أى كلام ، فليست فى حاجة إلى أى كلام . . وإنما هى فى حاجة إلى أن تخرج وأن تعود بطائرتها اليوم إلى بلادها ، ومعها حق!

وبعد لحظات خرجت . . فعرفت أن رصاصا انطلق على سيارة وأن جميع الذين كانوا فى السيارة قد قتلوا . من هم؟ لا أحد يعرف . ذهبت مرتجفا أريد أن أعرف . . واقتربت . . واقتربت ورأيت ما ندمت عليه بعد ذلك ، فقد رأيت المرحوم رفعت المحجوب غارقا

فى دمائه وكل الذين كانوا معه . . هذه الصورة لم أفلح فى أن أمحوها أياما . . أما تلك الرعشة مع القرف فلم أستطع أن أتخلص منهما وقتا أطول من ذلك . . بل إن هذا الشعور قد عاودنى وبنفس القوة عندما أحسست بزلزال القاهرة وأنا أتناول طعام الغداء . . وجدت اهتزازا لكل شىء حولى . . الناس والنجف والأشجار فى الشارع . . ونزلت بسرعة أتساند على الآخرين ، والآخرون يتساندون ويتماسكون . . شىء عجيب . . فلم نعرف زلزالاً بهذه القوة . .

بعض الأجانب تساءل دون أن يجد جوابا من أحد : إن كان زلزالا أو انفجارا ، لا أحد يعرف ، ولا أحد يجيب وبسرعة وقفنا أمام الباب تماما كالمرة السابقة . . ولكن الناس أكثر . . وفى ملابس النوم وحفاة . . والسيارات تتزاحم فى الشوارع . . والتيار الكهربى قد انقطع والناس ينزلون على السلالم ويتزاحمون أمام الفندق . . طبعا لا أحد يعرف ماذا حدث . .

ولكن وجدت مهندسا سعوديا يعمل فى البترول فقال لى بمنتهى الهدوء : إن هذه الهزة الأرضية تبلغ خمس درجات وثلاثة من عشرة بمقياس ريختر . . ولم أعرف من أين استقى هذه المعلومة . . لابد أنه بحكم عمله يعرف درجات الهزات الأرضية بسبب استخدامه للمواد المتفجرة فى أعمال الحفر والتنقيب .

وفجأة هجمت إحدى السائحات على إحدى السيارات وأغلقت الباب وراحت تبكى وتصرخ . . إنها بملابس الاستحمام . .وحاولنا تهدئة السيدة ، وكان ذلك صعبا ، وعرفنا أن

مصدر جنون هذه السيدة أنها نزلت من غرفتها دون أن تعرف أين ابنتها الوحيدة . . فقد ذهبت إليها فى حمام السباحة فلم تجدها . . وفجأة وجدنا طفلة هادئة ومعها عروستها . . وسألناها إن كانت هذه السيدة أمها . . فهزت رأسها . وحملنا الطفلة إلى الأم التى راحت تضحك بجنون وانهارت وهى تمسك بملابس ابنتها . . والطفلة الصغيرة فى الخامسة من عمرها لا تعرف بالضبط ماذا حدث . . وسألتها كيف هبطت من الدور العشرين . . فقالت شيئا عجيبا ،لم يتسع وقتنا لمناقشته . . قالت : إن رجلا أبيض طويلا له جناحان حملنى على ظهره ونزل بى إلى هنا!!

طفلة تتخيل أى شىء . . ولكن الذى أدهشنا حقا أنها أول إنسان نزل من الفندق بعد هدوء الزلزال بأقل من دقيقة . كيف؟ الله أعلم!

وأشارت إلى سندوتش فى يدها وقالت : هو أعطانى هذا!

والسندوتش ملفوف فى ورق ليس الورق الذى يستخدمه الفندق . . ولا الخبز مما يستخدمه الفندق ولا اللحم ولا البيض كيف؟ الله أعلم .

كلينتون يكسب !

(١)

عندك فرصة جاءت لك من السماء لتزداد احتراما لنفسك . . ففى واشنطن وفى موسكو أناس يردحون ويفرشون الملاية -كما يقول التعبير المصرى- بعضهم لبعض . . أما هؤلاء الناس فهم الرئيس الروسى يلتسين والزعيم السابق جورباتشوف ، فالرجلان لا يطيق أحدهما الآخر . . فيلتسين عنده إحساس أنه هو الذى أنقذ جورباتشوف وأنه هو الذى قاد الثورة ضد الذين انقلبوا عليه . . وهو الآن الرئيس وجورباتشوف ليس إلا مواطنا عاديا شيوعيا ويلتسين قد صدق كل مبادئ جورباتشوف وقضى على الشيوعية نهائيا فى بلاده . .

ويلتسين لا ينسى أنه عندما مرض لم يزره جورباتشوف . . وعندما أصبح رئيسا لم يهنئه . . ثم إنه لا يكف عن التعريض به فى كل مكان وكل وقت . . ولما أصبح رئيسا كان لابد أن يسلمه جورباتشوف حقيبة الأسلحة النووية ، فهذه الحقيبة بها أسرار ومفاتيح العقول الإلكترونية لكل الأسلحة النووية فى روسيا . . ثم إن جورباتشوف لايزال يتحدث كما لو كان الرئيس أو كأنه سوف يكون الرئيس . .

وقد أعطاه يلتسين مقرا للمنظمة الإنسانية التى يرأسها مع عدد من الموظفين ، ولكن بعد أن جرده من الفيللا التى تعطى للرؤساء ومن السيارة ومن الحراسة . .

وأخيرا أصدر يلتسين قرارا بإخلاء هذا المقر الذى يحتله جورباتشوف وأعطاه لإحدى الهيئات . . ثم منعه من السفر إلى كوريا وكانت إحدى المحاكم قد طلبته للشهادة . ورفض ، وأخيرا سمح له بأن يسافر ليمشى فى جنازة المستشار السابق فيلى برانت . .

أما انتقام يلتسين فكان عنيفا فقد بعث بمحاضر «المكتب السياسى» إلى الصحف الأمريكية . . وفى هذه المحاضر يهاجم جورباتشوف أمريكا ، ويمنع اليهود من السفر خارج روسيا إلى إسرائيل . . ويتهم أمريكا بأنها دولة من القراصنة وأن الرئيس ريجان رجل كذاب!

أما فى واشنطن وبسبب المعركة الانتخابية فإن بوش «يردح» لمنافسه كلينتون ، يقول إنه هرب من الجندية ، ويقول إنه سار فى مظاهرة فى بريطانيا عندما كان طالبا وكانت المظاهرة معادية لأمريكا . .

ويقول أتباع بوش : إن كلينتون قد سافر إلى روسيا سرا . . وأنه حاول أن يغير جنسيته لكى يهرب من الجندية . . وقد نزع عدة أوراق من جواز سفره . لماذا؟

وتقول زوجة بوش لزوجة كلينتون : إن زوجك كان عشيقا لمطربة اسمها جنيفر . .

وتقول زوجة كلينتون لزوجة بوش : وزوجك كان عشيقا لسكرتيرته عندما كان سفيرا فى الصين وهى التى عملت سكرتيرته عندما كان مديرا للمخابرات وكانت سكرتيرته عندما كان نائبا للرئيس . . ولاتزال هذه السكرتيرة واسمها جنيفر أيضا تعمل فى مراسم وزارة الخارجية التى طلبت إليها أن تختفى فى أمريكا اللاتينية حتى تنتهى الانتخابات . .

ويرد كلينتــون على بوش بأن والده كــان من أشــد الكارهين للسناتور ماكارثى الذى أرهب الشعب الأمريكى واتهم أكثر الناس بأنهم أعداء لأمريكا حلفاء للروس والشيوعية العالمية . . وأن بوش يعـيب على كلينتــون أنه يخـتلف مع الحكومــة . . مع أنه الآن مختلف مع الحكومة ومرشح للرياسة ، فهل هو خائن لبلاده وليس وطنيــا . . ويطلب من بوش أنه لا داعى لتـقليب الماضى وتمزيق الشعب الأمريكى!

ويقول بوش : إننى أتفوق على غيرى بالتجربة - يقصد منافسه كلينتون .

ويرد كلينتـون : ولكن التـجـربة ليـست كل شىء إن الشـعب الأمريكى يريد التغيير .

ويرد عليه بوش : لابد من التغيير ، ولكن ليس التغيير من أجل التغيير ، ومشروعى الجديد هو التغيير الذى ينتظره الشعب الأمريكى!

وتجىء فتاة الماكياج وتصبغ وجه بوش بالأحمر وكذلك الشعر الأبيض ونفس الشىء تفعله مع كلينتون ومع المرشح الثالث بيرو الذى يســخـر من الرئيس والمرشح للرياســة وكل سكان البـيت الأبيض وكل سكان واشنطن الذين لا يعرفون شيئا عن مطالب الشـعب الأمـريكى الذى لا يريد لا الرئيس القـديم ولا الرئيس الجـديد . . إنما الشعـب يريد الرجل الناجح الذى أثبت قدرته على الصــدق والنجــاح عـشـرات المرات . . يقـصـد أنه هو الرجل الذى يتطلع إليه الشعب الأمريكى .

الآن تستطيع أن تشعر بأنك أكثر احتراما لنفسك ولغيرك لأنك لا تكشف وجهك وتطلق لسانك الطويل ضد الآخرين بهذه الصورة النابية!

(٢)

كل شىء مضى وانقضى وسقط بوش ونجح كلينتون -رغم كل المحاولات الحقيرة لتعرية كلينتون وفضحه هو والسيدة والدته . لم يصل إلى أيدى خصوم كلينتون ما يعيب الرجل الوسيم الذى اختاره الشعب الأمريكي -باكتساح- رئيسا له لسنوات أربع قادمة ابتداء من ٢٠ يناير ١٩٩٣ . .

وقد نشرت وزارة الداخلية البريطانية ما يدل على أن الأمريكان حاولوا أن يعرفوا كيف كانت حياة كلينتون أيام كان طالبا فى بريطانيا . . فوجدوا أن حياته كشاب عادية جدا . . ويوم تظاهر ضد الحرب فى فيتنام . هل كان يتظاهر ضد بلاده أو كان يتظاهر ضد الحرب؟

وكان الجواب : ضد الحرب . .

وسأل الصحفيون الذين يعملون لحساب الرئيس بوش : وهل كان كلينتون يريد أن يهرب من الجندية بأن يدعى المرض أو بأن يغير جنسيته فيكون بريطانيا أو فنلندياً؟ لم يجدوا شيئا من ذلك لا حاول ولا شىء يدل على أنه حاول . والدستور الأمريكى يحميه . . فالدستور ينص على أن كل شاب يدرس فى الخارج يمكن إرجاء تجنيده حتى يفرغ من دروسه . فلم يكن كلينتون فى حاجة إلى وسيلة ليهرب من العسكرية!

وحاول جواسيس حزب بوش التسلل إلى القنصلية العامة فى لندن . وقلبوا وفتشوا جميع الدوسيهات والسجلات عن حياة كلينتون . فلم يجدوا شيئا ، وحاولوا أن يفتشوا فى كل أوراق

السفارة الأمريكية فى لندن فلم يجدوا شيئا وكلها ألاعيب وإثارات كان بوش مدبرها . .

ولم يكتف الرئيس بوش بذلك بل عين سيدة دبلوماسية لكى تقوم بهذا العمل وحدها دون أن يلتفت إليها أحد . ولم تنجح وهمست بكلمة هنا وكلمة هناك . فطردها بوش ومعها ١٥ موظفا بالخارجية الأمريكية!

ودفعوا فتاة مطربة من الدرجة الثالثة كانت على علاقة بكلينتون وقالوا ونشروا وأذاعوا مكالمات مسجلة بينهما ، ولكن الشعب الأمريكى تغاضى عن عبث الشباب الذى يمارسه الشباب فى كل الدنيا .

أما حكاية والدة الرئيس كلينتون فليست لها حكاية ، إنها سيدة قوية الشخصية تزوجت والد كلينتون فمات قبل أن يولد ابنها ، وتزوجت للمرة الثانية وأعطت لابنها اسم زوجها الثانى . وكان هذا الزوج الثانى سكيرا يضربها ويضرب ابنها وابنها الثانى الذى أنجبته منه ، فأرسلت الأم ابنها إلى جدته ، واهتمت جدته به وبعثت به يكمل تعليمه فى أكسفورد . . وظلت الأم على علاقة ودية بابنها . . وكانت تعتقد اعتقادا غامضا أن ابنها سوف يكون أعظم إنسان فى العالم -على الأقل رئيسا لأمريكا فمن أين جاءها هذا اليقين . . إنه إحساس داخلى يشبه إحساس ابنها تماما الذى قال عندما صافح الرئيس كيندى ، إنه سوف يكون رئيسا لأمريكا .

ثم مات هذا الزوج الثانى وكان الزوج الثالث مصابا بالسرطان فمات ، وهى تعيش مع زوجها الرابع فبأى شىء فى حياة هذه السيدة يجعل الابن يشعر بأن أمه عورة . . وبأن الشعب الأمريكى يجب ألا يختار رئيسا له أم تزوجت أربع مرات؟!

ولم يجدوا فى حياة أم كلينتون إلا أنها تسرف فى أشياء مثل التدخين ، فليكن ، فهل أساءت إلى نفسها أو إلى ابنها أو هل أدى هذا الإسراف إلى ارتكابها حماقات يندى لها جبين الابن البار الذى أحبها حبا شديدا ، ولا يزال!

فشلت كل الحيل . . ونجح كلينتون لأن الشعب الأمريكى يريد وجها باسما شابا جديدا . . وأسلوبا مختلفا فى الحكم . . ورئيسا تشغله الأزمة الاقتصادية الأمريكية عن كل الأزمات الاقتصادية الأخرى فى آسيا وأوروبا وأفريقيا . . فكان لهم الرئيس الذى يريدون .

أما أول غلطة ارتكبها كلينتون فى السياسة الخارجية ، فهى أنه رفض مقابلة جون ميجور رئيس وزراء بريطانيا وهو أقوى حليف له فى أوروبا . وذلك لسبب أنه ساعد رجال بوش فى البحث عن ماضيه . . ولم يكن فى استطاعته أن يمنع أحدا . . غلطة يا ريس كلينتون!

من أجل خبر!

لم أكد أصل جزر هاواى حتى نشرت الصحف والإذاعة أن البركان النائم مئات السنين قد صحا . . يعنى إيه؟ فأنا لم أر فى حياتى بركانا حيا يتدفق بالنار والحمم . لقد رأيت بركان استرومبولى من بعيد لبعيد . . فقد كانت الباخرة تمر فى مضيق مسينا الإيطالى عندما رأيت بركان استرومبولى يتدفق بالنار فى الماء ويتصاعد الماء والدخان كان المنظر جميلا بديعا من بعد . .

ورأيت بركان فيزوف بالقرب من نابولى . . ورأيت مخلفاته من الحمم التى تجمدت والتى جمدت الناس من مئات السنين وجعلتهم تماثيل حية . . ورأيت بركانا أثنا . . وبركان فوجى ياما فى اليابان . وكان قائما قويا شامخا . . والناس يصعدون إليه فى رحلة استعطاف لعله يظل نائما فلا يصحو يهدم البيوت والحدائق والغابات عليهم . .

إلا بركان هاواى هذا فهو شىء عجيب حقا . . اقتربت من البركان فالأرض كلها تغلى وتهتز . . النار بحيرات من الحمم تأكل الحجارة والأشجار وتتحول الأرض إلى بحيرات من الحديد المصهور الأحمر . . ولا أحد يعرف معنى الغليان الذى نسمعه مرة مثل صهيل الخيول ومرة مثل زئير الأسود . . والناس ورائى وأمامى يقتربون بحذر شديد . . والأصوات العالية تصرخ فيهم أن احترسوا فربما سقط الجبل كله فى بحيرة النار . . ولكنه حب الاستطلاع الشديد عند الناس . . وعندى أنا أيضا . . فقد كان إصرارى على أن أرى البركان من فوق من الجو . . وكان معى زميلى المرحوم

أحمد يوسف كبير مصورى أخبار اليوم ركبنا طائرة صغيرة جدا ذات محرك واحد . . ورحنا ندور حول بحيرة النار ، وأحمد يوسف يلتقط أول صور للبركان . . وهى أول صور فى العالم نشرتها مجلة «آخر ساعة» سنة ١٩٥٩ . . وكانت الطائرات المتجهة إلى أمريكا أو إلى اليابان تقترب من منطقة البركان ليراه المسافرون .

ونحن فى الطائرة كنا نشعر بحرارة البركان . . وقد أصابتنا الحرارة بالعرق . . ولكننا لم نقدر خطورة ما نقوم به ، فظللنا ندور حول البركان . . وفجأة وجدنا معنا شابا ثالثا . وسألناه من هو فقال إنه الطيار وقد ترك الطيارة وجاء يلتقط هذه الصور التاريخية ، فكاد قلبى يقف ، وقبلت يديه أن يعود إلى عجلة القيادة وأن يهبط بنا فى مطار بيرك هاربور . . وعندما هبطت الطائرة وجدت أن الحمم البركانية قد نفذت من أجنحتها وبالقرب من خزانات الوقود . ومعنى ذلك أن هذه الحمم لو اقتربت بما يعادل سنتيمترا واحدا لاحترقت الطائرة ، وتحولنا إلى ثلاث قطع من الفحم تهبط فى بحيرة النار! ولكن الله شاء لنا أن نعيش ، ولو خطر على بالنا ما سوف يحدث . . كأن يقوم الطيار بترك عجلة القيادة ويتركها تطير أتوماتيكيا ، أو أن الأحجار الملتهبة سوف تخترق جناحى الطائرة . . أو الهواء ذا الضغط العالى الخفيف من الممكن أن «يسقط» الطائرة التى هى عصفور صغير ، ما فكرت لحظة واحدة فى الطيران فوق البركان . . فقد كانت فكرة مجنونة مناسبة جدا لشاب مندفع ، واندفاعه نحو المعرفة مجنون مجنون يا ولدى!

كل ذلك من أجل أن يقال فى الصحف المصرية : إننى أول من دار حول العالم فى ٢٢٨ يوما . . وأول من طار فوق البركان مستهينا بالموت من أجل هذه الصور النادرة . . وسوف تمر عين القارئ على هذا السطر لينساه بعد ذلك بلحظات . . ولكن المغامرة المثيرة هى المكافأة الغالية التى لا يفكر الشاب إلا فيها مهما كلفه ذلك!

ضحايا لكل المعارك !

عندما احتفل الأمريكان بمرور خمسين سنة على حرب بيرل هاربور فى العام الماضى ، ارتفعت أصوات فى أمريكا تطالب الشعب اليابانى بأن يعتذر عن إغراق الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور . . ولم يعتذر اليابانيون ؛ لأن الأمريكان لم يعتذروا عن ضرب هيروشيما بالقنابل الذرية ، ومضى اليوم إلى النسيان .

وأمس زار إمبراطور اليابان بلاد الصين التى قتل منها الجيش اليابانى بمباركة والده الامبراطور هيروهيتو عشرين مليونا ، ولم يجرؤ أحد فى الصين أن يطلب من الإمبراطور أن يعتذر ، فالصينيون عمليون واليابانيون أيضا ، ويريدون صفحات جديدة فى التجارة والاستثمار ، ولم يعتذر الإمبراطور ، ولا أحد طلب منه ذلك .

وذهبت الملكة إليزابيث وزوجها الأمير فيليب إلى مدينة درسدن الألمانية «الشرقية» للصلاة فى الكنيسة على روح الشهداء الإنجليز والألمان وقام الأمير فيليب بتلاوة ألمانية من الكتاب المقدس ، وهذه المدينة قد مسحها سلاح الطيران البريطانى ، ومنذ شهور احتفلت بريطانيا بإقامة تمثال لقائد الطيران هاريس الذى هدم هذه المدينة ، وتضايق الألمان لهذه الجليطة ، وبسرعة قرر العلماء الألمان الاحتفال بمرور خمسين عاما أيضا على اختراع «الصاروخ ف -٢» الذى استخدمه الألمان فى تحطيم لندن ، وتضايق الإنجليز ، وأعلن ونستون

تشرشل حفيد الزعيم البريطانى تشرشل أنها جليطة من الألمان أن يحتفلوا بذكرى سلاح مدمر ، وأعلن العلماء الألمان أن هذا الصاروخ الذى اخترعه المهندس الألمانى فون براون هو الذى ارتفع بالأقمار الصناعية فى روسيا وفى أمريكا إلى الدوران حول الأرض وإلى الهبوط على القمر . . ولولاه ما دخلنا عصر الفضاء ، وقد استطاع الأمريكان والروس أن يقتسما الأسرى من علماء الصواريخ الألمان ، ولولا العلماء الألمان ما كان هذا التنافس بين روسيا وأمريكا فى الفضاء .

وعندما أطلق الروس أول قمر للفضاء الخارجى ، لم تكن أمريكا مستعدة ، ولكن العلماء الألمان بقيادة فيرنر فون براون أطلقوا أول قمر . . وثانى وعاشر ، ونزلوا على سطح القمر .

وقررت الحكومة الألمانية ألا تحتفل رسميا بذكرى الصاروخ الألمانى . . وإنما تركوا ذلك للعلماء الذين احتفلوا بإقامة متحف للصاروخ فى جزيرة بنموندة ، التى لا تزال تحتفظ بحطام طائرة بريطانية .

ويرى المؤرخون البريطانيون أن هذه الصواريخ قد استخدم فى بنائها وصناعتها ألوف من «عمال السخرة» من أسرى الحرب . . وحكاية عمال السخرة هذه تتكرر فى مواجهة كل إنشاء كبير ، فقالوا عن بناة الأهرام أنهم عمال سخرة استخدمهم الملك خوفو - ونسوا أن الهرم مقبرة خوفو .

وقالوا عن سور الصين العظيم - بناه عمال السخرة ، ولم يكن السور من بناء أمير واحد ، وإنما عشرات الأمراء دفاعا عن الصين .

وقالوا عن قناة السويس أنها بنيت بالسخرة .

إنها معارك للبناء والتعمير والتشييد ، وككل المعارك لها ضحايا! .

مغامرات مع الطبـــيعة!

(١)

لى حكايات ومغامرات مع الظواهر الطبيعية . . لم يكن ذلك نوعا من التحدى . . وإنما هى المصادفة وضعتنى فى ظروف صعبة وتركتنى . . ولا أزال حيا أحكى ما حدث .

كان لابد أن أستقل السفن الإيطالية إلى إيطاليا من ميناء الإسكندرية . . اسيريا . . أو إنوتريا . . ولكن هذه المرة قررت أن أسافر من السويس على ظهر الباخرة الفرنسية الماريشال جوفر . . الباخرة كبيرة .

ولكن المكان الذى أنام فيه خانق فعلا . . كأننى أنام على الأرض . . فى الشارع أو فى إحدى حظائر الخنازير . . فنحن جميعا ننام على أسرة صغيرة فى غرفة واحدة . . والغرفة عند قاع السفينة . . والهواء له رائحة واحدة جبنة قديمة . . ولا توجد أية وسيلة لكى نشم هواء صحيا إلا إذا صعدنا إلى سطح الباخرة . . والسطح بعيد . . والسلم إلى السطح ضيق . . وعلى السطح لا يوجد إلا هواء قوى من جميع الجهات . . ثم إن السفينة تهتز على السطح أكثر من اهتزازها عند القاع . . ولا أحد يريد أن يموت فى الظلام . . وإنما يفضل أن يموت وهو يرى الدنيا : الناس والبحر . . كأنه يريد أن يموت علنا . . أو كأنه يريد أن يجعل العالم كله يشهد على نهايته .

ولا أعرف من أين جاءت كلمة الموت . . ولكنها قفزت إلى

لسـانى رغـم أن كل شىء يدل على أن الحيـاة حلوة . . والسـفـينة حلوة أيضا . . والناس أشكال وألوان على السطح .

إذن فليكن النوم فى جـوف السـفـينة أمـا الحـيـاة فلتكن على السطح . . ولذلك كـانت سـاعات اليـقظة فوق السطح . . حتى إذا جاء النوم هبطنا السلم إلى جوف السـفـينة وكـان جوف السـفـينة تحت سطح الماء لا أعرف بكم من الأمتار .

وفى يوم اهتزت السفينة بعنف . . فالبحر موجه مرتفع جدا . . ولونه أغبر . . أما فى الليل فالبحر مخيف حقا ولونه أسود . . والموج كأنه عفاريت تحاول أن تبتلع السفينة ومن فوقها . . ولا شىء يدل على أن السفينـة قادرة على الصمود . . ولكنها صامدة . . والبحارة يروحون ويجيئون ويضحكون كأن شيئا لم يحدث أو لن يحدث . . فـقـد اعـتـادوا على مـثل هذه المعـركـة بين البـحـر والسفـن . . ولكن منظر السفينة يوجع القلب فهى تحاول أن تتوازن على أكتاف الموج .

وفجأة ظهرت سيدات متدينات فى الملابس البيضاء . . يصلين ويتـجـهن إلى السمـاء ويبـتـهلن إلى الله أن يجعل نهـايتنا هادئة . . ولما سـمـعت عـبـارة «نهايتنا هادئة» اقـتـربت من إحـدى الراهبـات وسألتها : ما الذى جعل حضرتك تتحدثين عن النهاية الهادئة . . هل نحن مقبلون على هذه النهاية؟

ونظرت فى هدوء وهى تقـول : إن النهـاية من الممكـن أن تجىء فى أية لحظة .

- هل هذا مؤكد؟

- إن أحدا لا يعرف . . ولكن نؤمن بذلك . . فهل تخاف؟

- نفرض؟ لكن النهاية ليست مؤكدة اليوم .

- لا . . ولكننا نصلى فإن أحدا لا يعرف متى سيموت .

- هل لو كان البحر هادئا .

- نعم حتى لو كان هادئا فلابد من الصلاة .

وكان الناس حولنا يصرخون . . ويفرغون ما فى بطونهم . . وفى نفس الوقت كانت السيدات قد استغرقن فى الصلاة والدعاء .

وأشارت السيدة أن أهبط إلى قاع السفينة وأن أعود وأنام وبذلك يكون إحساسى بالصراع بين الموج والسفينة ضعيفا جدا . . ثم قالت لى : إنها بضع ساعات وكل شىء سوف يكون هادئا .

- ساعات؟ تقولين ساعات؟

- نعم . . ليس قبل أن نبعد كثيرا عن جزيرة كريت ونقترب من السواحل الإيطالية .

- . . . . .

وكان الاهتزاز عنيفا جدا . . وتكاد أحشائى تقفز من فمى . . ولا سيطرة لى على شىء من نفسى أو جسمى . . مع أننى سافرت بالبحر كثيرا . . ولكن هذه المرة كان البحر عاليا والسفينة الكبيرة ألعوبة . . وخجلت من نفسى . . كيف أن سيدات صغيرات عندهن هذه الشجاعة وهذا الصبر والقدرة على الاحتمال ومواجهة الموت ، وأنا هكذا «عيل» . . فصعدت إلى ظهر السفينة وتساندت على إحدى الراهبات وأسندت ظهرى إلى حاجز من الحديد .

واستغرقت فى النوم . . فقد أرهقنى البحر والخوف والتفكير فى الموت . . وأصحو من النوم لأجد أن البحر قد صالح السفينة وأن الاثنين سمن على عسل!

(٢)

من أول الرحلة ونحن نعلم أن مصاعب سوف تواجهنا «ولكن» . . ولا بد من هذه الكلمة . . ومعناها أنه سوف تكون مصاعب فى الجو ولكن الله سوف ينقذنا . . لماذا؟ لا يوجد أى سبب . . ولكن الأمل فى الله العظيم . . وفى نفس الوقت نحن لم نفكر فى إلغاء السفر ما دمنا هكذا خائفين . . ولكن هناك استثناء دائما لنا . . أى إذا تعرض كل الناس للخطر فإننا وحدنا سوف ننجو .

على أى أساس كان هذا اليقين؟ لا أساس . . ولكنه موجود هناك . . ولولاه ما خرج الإنسان من بيت . . ولا أكل فى أى مطعم . . ولا ركب السيارة أو الطيارة . . هناك استثناء لنا من كل كوارث الدنيا . . لماذا؟ هناك استثناء وسوف يسترنا . . والحمد لله .

ولكن من حين إلى حين أنظر من النافذة فلا أجد إلا سحبا . . وأرى جناح الطائرة يهتز اهتزازا عنيفا . . ولكن الطائرة ماضية فى طريقها . . وإذا كان النظر من النافذة لا يفيد ولا يطمئن ولا معنى له ، فلماذا أنظر من النافذة ، من حين إلى حين . . ما جدوى أن أنظر والطائرة على ارتفاع أربعين ألف قدم . . ولا شىء ينقذنا من أى شىء . . فنحن الآن بين يدى الله . . انتهى الأمر .

فمن اللحظة الأولى لإغلاق باب الطائرة وانطلاقها إلى السماء . . ولا حيلة لنا فى أى شىء . . سواء كان الهواء ساكنا أو عاصفا . . وسواء كنا فى عين الإعصار أو عند طرفه يمينا أو شمالا . . ولكن الطائرة تهتز لا شك فى ذلك .

وكان الليل أسود تماما إلا من قمر يبدو صغيرا بعيدا . . أو متباعدا كأنه هو الآخر خائف . . أو كأنه لا يريد أن يشهد بما سوف يحدث أو ما حدث فى أماكن أخرى من العالم .

ونمت . . ولا أملك إلا أن أنام وأحمد الله على ذلك . . فهناك كثيرون لا ينامون فى الطائرة . . وإنما هو فى حالة من القلق والترقب والانتظار والنوم يهرب منهم حتى لو تعاطوا حبوبا أو شربوا سوائل من أى نوع . . ونمت .

ورأيت فيما يرى النائم أن مضيفة جميلة تقترب منى وتقبلنى . . ثم عادت تقبلنى وصحوت . . وكانت هناك مضيفة قريبة منى وتوقظنى . . وصحوت وسمعتها تقول لى : إن الكابتن يريد أن يراك الآن؟

– الآن؟

– نعم .

– لماذا؟

– لا أعرف .

وذهبت . . واعتذر الكابتن عن إيقاظى . . ولكنه يريد أن يعرض على شيئا عجيبا . . ويهمه جدا أن أراه وأن أحسه بنفسى .

قال الكابتن وكأنه يتحدث عن مسابقة لجمال السيقان .

قال : بعد لحظات سوف نمر عند طرف الإعصار . . وأمامنا بعد دقيقتين اثنتين منخفض عميق جدا . . ألوف الأقدام . . وسوف ترانى وأنا أمتص هذا الانخفاض بنعومة شديدة . . وأنا أدعوك الآن لترى كيف أن الطائرة سوف تهبط فى منتهى الرقة والرفق دون أن يصحو أحد من الركاب . . الآن . . انظر . . انظر .

وأنا لا أدرى كيف أصف شعورى . . إن الكابتن قد أيقظنى ليدعونى إلى أحد المطبات الهوائية العميقة . . وكان المطب فوق المحيط الهندى عند منتصف الليل وعلى ارتفاع ٣٨ ألف قدم . . وهبطت الطائرة ومعها روحى . . ووجدت السعادة على وجه الكابتن وكان اسمه الشقنقيرى . . كابتن مصرى مشهود له بالبراعة . . ولكن الذى حدث هو مزيج من البراعة ولذة التعذيب . . فهو سعيد بما حدث للطائرة وسعيد أيضا بما أصابنى من فزع . . وكأن شيئا لم يحدث . . فقد شكرنى .

ومعنى ذلك أن المهمة قد انتهت وأنه فى استطاعتى أن أعود إلى مقعدى وأن أنام على راحتى فقد انتهت المطبات فى الطريق وهذا هو آخر مطب قبل الهبوط إلى مطار بانكوك .

وعدت إلى مكانى مندهشا من نظرية النسبية هذه . . فالذى يراه الكابتن حدثا لطيفا ناعما ، وجدته مخيفا يكاد يخطف روحى من أنفى . . وهو سعيد بنجاحه وأنا تعيس بما أصابنى من هبوط عام ومن دوخة قوية ، لم أتخلص منها إلا بعد أن ذهبت إلى اليابان وأعطانى الطبيب حبوبا جعلتنى أنام فى الفراش يوما كاملا لكى أعطى لأذنى الوسطى فرصة للتوازن مع ظروف الحركة على سطح الأرض .

(٣)

كان ذلك فى ولاية كيرالا فى أقصى جنوب الهند . الولاية جميلة . الغابات شديدة الخضرة كثيفة . . والبحيرات التى فى الغابات رائعة مروعة . . فالزورق الذى أنتقل به يخترق الأشجار وتتدلى من فوقه الأغصان . . وعلى الأغصان طيور وقرود . . وفى الماء ثعابين وتماسيح . . أما الأصوات التى تجىء من كل مكان فهى مزيج من صرخات القرود والببغاوات والنمور والذئاب والأسود . . ومن الصعب أن أميز بين هذه الأصوات ولكنها جميعا مظاهر مخيفة . . وكنت أنا الوحيد الخائف . . أما الهنود الذين يدفعون الزورق ببراعة ، فلا خوف عليهم . . ولا خوف عندهم .

وعند نهاية الرحلة فى البحيرة وفى قلب الغابة كان الغداء ، الغداء على الأرض ، وجاءت أوراق الموز طويلة عريضة ووضعت أمامنا . . هذه الأوراق هى البديل عن الأطباق . . فهم يضعون الأرز والكارى على أوراق الموز ومعها قطع الأناناس . . وبعد أن نفرغ من الطعام يغسلون أوراق الموز ويعلقونها بين الأشجار حتى الوجبة القادمة . . وأثناء الغداء تنقض علينا الغربان تخطف الأناناس أو الخبز أو أى شىء آخر . . والغربان فيها إلحاح وإصرار . . وهى أقوى كثيرا جدا من مقاومة الإنسان لها . . تنقض علينا نحن إذا قاومناها . لماذا؟ لقد اعتادت على أن تفعل ذلك ، واعتاد الناس على رذالتها!

أمـا إذا فكرت فى أن تأكل الكوجـانتس -وهو البندق الهندى اللذيـذ- فـهـذا مـالا تطيق الغـربان أن تسكت عليه . . فـهى تدعو بعضـهـا البـعض وتنقض أسـرابا وتمسح كل الذى أمـامك . . وليس من الحكمـة التصدى لـهـا . . بل يجب أن تترك لها المكان تماما وأن نضع البندق فى أفواهنا مباشرة أو فى جيوبنا .

وبعد أن فرغنا من الغداء والشاى الهندى البديع ، كان لابد من العـودة إلى الفندق ، وفى اللحظة التى قـررت فـيـهـا العـودة إلى الفندق لكى أكتب وأتمدد بعض الوقت ، قررت السـمـاء أن تتخفف مما تحمل من الماء . . وانهارت السحب على الأرض سيولا . وارتفع الماء البنى القاتم إلى ما فوق الركبة . كيف؟ لا أعرف . ولكن أحدا لم ينـدهش لما حـدث . ووجـدت من الضـرورى أن أخلع الحذاء . . وبسـرعة احـتشـد الناس فى كل مكان وراحـوا يقـولون : زانداباد . . زانداباد .

وكـان مـن الطبـيعى أن أردد هذه الكلمـة مثلهم . . رغم أننى لـم أعـرف مـعناها إلا عندمـا عـدت إلى الفندق . . وكـان مـعناها : يعيش . . يعيش . . وسـألت المتظاهرين فـى الشـوارع التى امتلأت بالماء عن الحكاية . . فلم أفـهم أو لـم اسـتـوعب مـا يقـولون . . زانداباد . . زانداباد . . وسرت مع الجماهير المتجهة كلها إلى ناحية واحـدة . أريد أن أعرف . . والطرق طويلة والناس كثـيـرون ويزدادون عـددا . . ولكن لـم يكد الناس يمشون سـاعة حـتى عـادوا إلى نفس الطريق . . إذن هى مظاهرة . . ليسـت مـسيرة إلى مكان بعـيـد . . وتعبـت من المشى وازداد خوفى من الماء ومن أن أصاب بالبـرد . . وسألت أحـدهم إن كـانت المياه فيها بلهارسيا أو أنكلستوما أو أية

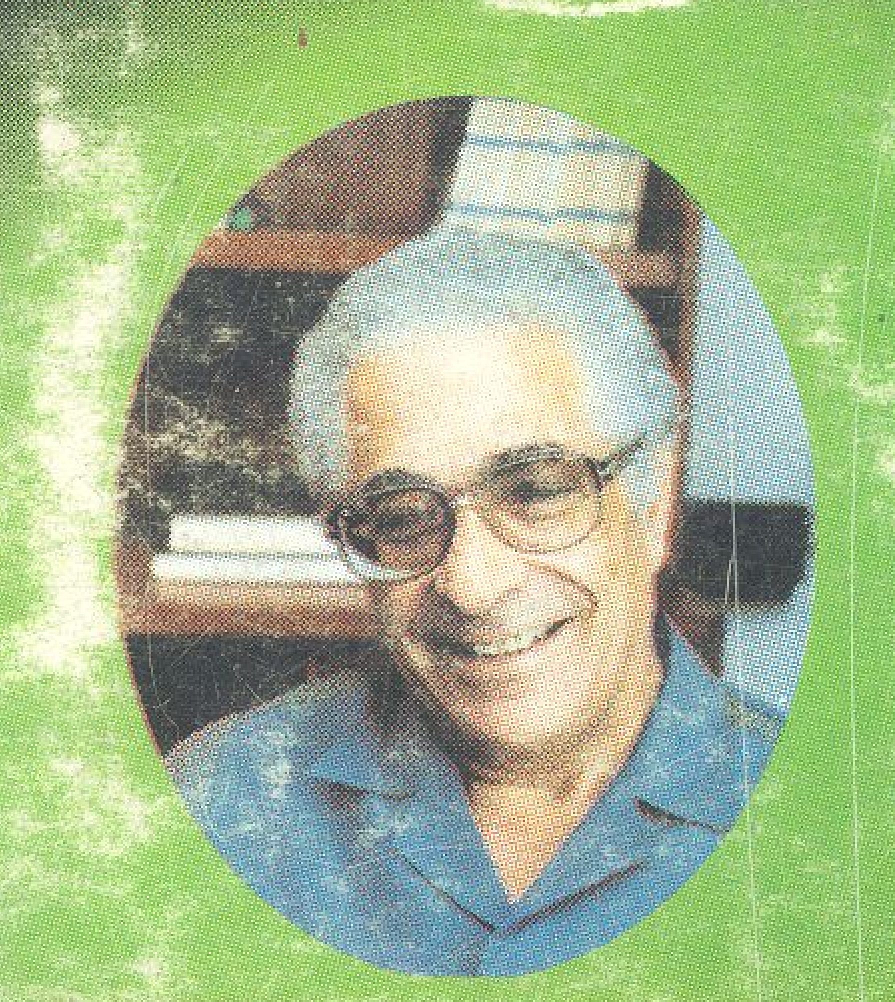
أمـراض جلدية أخـرى . . ولم أجـد إجـابة شـافـيـة . . وإنما كـان الاستخفاف هو الرد الطبيعي . . إذ كيف أسأل عن هذه الأمراض والشعب يطالب بحقوقه؟ ثم إذا كانت هذه البلاد لا تعجبنى فلماذا جئت؟

وبدأت أتراجع قليـلا عن هذه المظاهرة أمـلا فى العـودة إلى الفندق . . ورأيت ما أصابنى بالفزع الحقيقى . . لقد رأيت -هذا مؤكد- عددا كبيرا من الأفاعى تسبح فى الماء فى اتجاه الناس وبعيدا عنهم . . ولكن أحدا لم يحاول أن يهرب منها أو يضربها . . أو حتى يبدى استياء من وجودها . . ولم أحاول أنا أيضا أن أتوقف . . أو أعترض وإنما تظاهرت بالشجاعة . . وكانت الثعابين أشكالا وألوانا وأحجاما . . وبعضها يطفو على الماء وبعضها أحسست به عند قدمي . . وبين قدمى . . ولا أعرف إن كان الذى أحسست به حقيقة أو وهما . . فقد تخيلت أن واحدا منها قد التف حول إحدى ساقى . . إنى لم أعد أشعر بساقى . . إنها مكهربة من الخوف . . أو من يدرى من لدغة ثعبان . .

وفى الفندق ألقيت بنفسى تحت الدش - ورحت أتأمل كل مكان فى جسمى بحثا عن أثر لسعة أو لدغة . . وفجأة قفز ثعبان صغير من جيب البنطلون .

أما رد الفعل فقد وجدت نفسى فى أحد المستشفيات!

الفهرس



أنيس منصور

تولد النجوم وتموت

فى هذا الكتاب

الله خلق الكون من الإتساع بحيث لو إنطلق أى كوكب فى إتجاه فإنه لن يصطدم بأى جسم آخر . . تماماً كما نقول لو سارت نملة فى مدينة سيدنى بأستراليا ، فإنها لن تصطدم بأية نملة فى مدينة القاهرة ، مهما كانت سرعتها ، ومهما كان اتجاهها ، ومهما طال عمرها ، سبحان الله !

ولكن تصطدم بالكواكب وبالنجوم كتل من الجليد الضالة بين النجوم كأن يكون مذنباً أو شهاباً أو تكوين من الغازات والتراب والجليد . . وتوجد على سطح أرضنا تجاويف وأخاديد تدل على أن أجساماً ضالة قد دخلت فى مجال الأرض وفى جاذبيتها فوقعت عليها فإرتفع الماء والتراب والجليد وطاشت أمواج البحار ، وغبار الأرض ، وقامت الأعاصير حدث ذلك مرات كثيرة على كوكبنا فى عشرات ملايين السنين الماضية وعلى سطح القمر ايضا فأطاحت بالنبات والحيوان ، ثم سكن كل شىء بعد ذلك . .

ويلاحظ علماء الفلك أن هناك جسماً صغيراً له مدار يقترب من مدار الأرض وهذا الجسم الصغير سوف يقترب جداً من الأرض سنة ٢١٢٦ يوم ١٥ أغسطس فى الساعة الثامنة مساءاً بتوقيت القاهرة ! . . ولذلك فالعلماء يدرسون بمنتهى الدقة والسرية مسار هذا الجسم الصغير ، فمن الجائز أن يصطدم بالأرض . . فيدخل جو الأرض وقد لا يتحطم إلا على سطحها . فإذا حدث فسوف يخلق تجويفاً ضخماً وعميقاً ، وسوف يصاحب دخوله الأرض إرتفاع درجة الحرارة وسوف ترتفع أمواج البحر إلى نصف كيلومتر . . وسوف تغرق مساحات كبيرة من الأرض . . وسوف تشتعل الحدائق فى الغابات . . وسوف تتحول الغابات إلى أرض جافة محروقة ، ويموت مالا نهاية له من الحيوانات والطيور وسوف تتكهرب الأرض وتتعطل كل وسائل المواصلات ، وقد يحترق أو يختنق مئات الملايين من الناس !


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع